الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-قسنطينة-

كلية أصول الدين

والشريعة والحضارة

قسم: العقيدة

أصول العقيدة في سورة يس وأثرها في الفرد والمجتمع

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة الإسلامية

إعداد الطالبة:

ليليا شنتوح

إشراف الأستاذ:

الدكتور: بشير بوجناتة

لجنة المناقشة

- د مولود سعادنة	رئيسا		جامعة الأمير عبد القادر
-بشير بوجناتة	مقررا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- د صالح نعمان	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
- د صونيا وافق	عضوا	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الدراسية:

(1424-1425هـ/2004-2005م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

أحمد الله جل وعلا على نعمائه، وأسأله العون على شكر آلائه وبعد، فأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل للدكتور الفاضل بشير بوجنانة المشرف على هذه الرسالة، والذي استفدت من توجيهاته ونصائحه الشيء الكثير، فجزاه الله خير الجزاء وبارك له في علمه ووقته.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى لجنة قراءة هذه الرسالة لما بذلوه من جهد في تقويمها، فلهم مني خالص الشكر والثناء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كفلاني مذ فتحت عيناي على دنيا الإسلام، إلى من تمنيا علي عهد السعادة وهما يرقباني آملين أن أبلغها يوما، إلى والدي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمريهما.

إلى من خفف عني عناءات البحث، وكان لي الحافز المعنوي إلى من قدره الله لي زوجا طيبا.... سفيان

إلى أبي الروحي أطال الله في عمره عليوان السعيد.

إلى أساتذتي الأفاضل: حجيبة شيدخ، صالح نعمان، عبد الوهاب فرحات.

إلى أختي التوأم: هادية، وأخي: محمد لمين.

إلى صديقاتي العزيزات: نجوى، سعاد، نور الهدى، أتمنى لهن كل التوفيق في حياتهن.

إلى كل عمال وعاملات المكتبة، وأخص منهم بالذكر: عمي إبراهيم بن فطيمة الذي لم يبخل علي بأدنى مساعدة كنت أطلبها.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إخراج هذا العمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــدمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: التعريف بالموضوع

الحمد لله حمد العابدين الشاكرين، أحمده وأثني عليه كما هو أهل له، وأصلي وأسلم على من عمت بعثته كل العالمين محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي ستظل تخاطب جميع البشرية إلى يوم القيامة، وتوجههم وتبصرهم إلى طريق الحق، وإلى السعادة في العالمين الدنيوي والآخروي، ولقد كان في زمن مضى وراء تحول أمة العرب الجاهلية إلى خير أمة أخرجت للناس، ذلك أن أفراد هذه الأمة عرفوا قيمة كتاب الله، فانكبوا على حفظه وتدارسه، ونهلوا من عظيم نوره وهدايته، وعضوا عليه بالنواجذ فأعزهم الله بعد أن كانوا أذلة، ونحن في مجتمعنا المعاصر أحوج ما نكون للعودة إليه، وإلى سنة نبيه ﷺ ، وأن نتصل به، ونعرف قيمته الحقيقية ليكون لنا زاد في الطريق، وتربية لنا في النفوس والضمائر.

وقد دلنا كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وسورة "يس" من السور المكية التي تعرضت لهذه الأركان الآنفة، والتي عنيت خاصة بإثبات أصول العقيدة الإسلامية، المتمثلة في الإيمان بالله والإيمان بالرسل والرسالة، والإيمان باليوم الآخر، وإن من أهم أسباب اختياري لهذه السورة بالذات كموضوع للدراسة، وقعها المتميز في نفوس عامة الناس وخاصتهم، لكثرة الأحاديث المروية في فضلها، ولا سيما منها قول رسولنا الكريم ﷺ: «إن لكل شيء قلبا، وقلب القرآن يس»[1]، والقلب في اللغة هو لب الشيء[2]، ونحن نعلم أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وبالتالي فهناك معان ودلالات أردت من خلال هذا البحث الكشف عن بعض دررها.

---

[1]-أخرجه الترميذي، السنن، أبواب ما جاء في فضائل القرآن، باب ما جاء في يس، حديث رقم 3048، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، (بيروت: دار الفكر (1403هـ-1985م))ج6، ص237.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، د.ط، (د.ب: دار المعارف، د.ت)، ج5، مادة قلب، ص3713-3714.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والإيمان بالله وتوحيده في ربوبيته وألوهيته هو الركن الأصيل والقاعدة الأساسية في العقيدة الإسلامية التي ينبثق منها سائر مقومات العقيدة الأخرى، ومن مقوماتها الإيمان بالرسل ورسالاتهم فهم أعلام الهدى ،اصطفاهم الله وأختارهم ليكونوا مشاعل النور وهداة الخير، من لدن نوح عليه السلام حتى نبينا محمد ﷺ.

ومن مقوماتها أيضا الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحشر وأهوال وحساب، ذلك اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والأخريين ، ويحاسبهم على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ثانيا: الإشكالية

ولذلك فقد تناولت هذه المسائل التي كثر الجدال فيها منذ عهد الرسول ﷺ إلى يوم الناس هذا، حيث نجد أعداء الإسلام ينكرون وجود الله ووحدانيته، ويجحدون الرسالة والرسل، وينكرون البعث والآخرة والجنة والنار، فظهرت مذاهب فكرية مختلفة من وجودية، مادية، ماركسية، اتجهت إلى الدين عامة، وإلى العقيدة الإسلامية بخاصة، بأقسى هجوم عرفته العقيدة على مدى تاريخها الطويل، واستغلت في ذلك بعض ما توصل إليه الفكر الإنساني من نتائج في مجالات العلم والمعرفة، وهذه التيارات وإن اختلفت في مظاهرها، فهي تشترك في مبدأ واحد، آلا وهو المبدأ المادي القائم على إنكار كل ما هو غيبي متجاوز للمادة، والنتيجة هذا الضنك الذي تعيشه البشرية على كل المستويات: الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

وقد انتقلت هذه المفاهيم الغربية إلى عالمنا الإسلامي اليوم، فأصبح المسلم يعيش في عالم طغت عليه المادة، وأضحى التفكير في غيرها يكاد يكون مفقودا، ومن هنا أصبحت حياة المسلم قائمة على أهداف مادية يفني عمره من أجل الحصول عليها، غير مهتم بجوانب الحياة الروحية والفكرية، فأضحى المؤمن بذلك يعيش في نوع من الانفصالية بين المرجعية الاعتقادية، وبين المظاهر التطبيقية في مختلف وجوه الحياة، وهذا ما أدى إلى تفشي أمراض كثيرة في المجتمع مثل القلق والأمراض العصبية والقلبية، وحالات الانتحار، وإلى غير ذلك من الآثار السلبية الناتجة عن طغيان الجانب المادي في حياة الفرد المسلم، مما يستلزم علينا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرجوع إلى القرآن الكريم ليعيدنا إلى المسار الصحيح الذي ينبغي أن نسلكه حتى نحافظ على وجودنا من العبثية ونحفظ حضارتنا من السقوط والزوال، فكتاب الله هو أعظم كفيل لسعادتنا الدنيوية والأخروية.

ثالثا: أهمية الموضوع

إن هذا الموضوع له أهمية كبيرة وبالغة لأنّه يتناول مسألة وجود الله والرسل والرسالة والبعث واليوم الآخر، وتكمن أهميته خاصة في أن الإيمان بالأركان السابقة يؤدي إلى استقامة حياة الناس في الدنيا، ونيل الدرجات العلى يوم القيامة.

ومن هنا جاء اهتمامي ببحث هذه الأصول العقدية الثلاثة في سورة يس، محاولة الإجابة عن تساؤلات عدة هي:

- ما هي الأصول العقدية الواردة في سورة يس؟
- وما هي الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حول هذه الأصول؟
- وكيف كان الرد القرآني على منكري وجود الله و الرسل والرسالة واليوم الآخر؟
- وهل هي نفس الافتراءات في الوقت المعاصر؟
- وهل الردود القرآنية كافية لإقناع العقلية المعاصرة؟
- وما هي الآثار المترتبة عن الإيمان بالله وبالرسل والرسالة وباليوم الآخر وبالفرد والمجتمع؟

رابعا: أسباب اختيار الموضوع

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية، هي:

- رغبة ذاتية في الإطلاع على بعض مكنونات كتاب الله.
- الرغبة الشديدة في خدمة كتاب الله.
- الحيوية التي يتمتع بها موضوع أصول العقيدة في سورة يس، ولا سيما في الوقت المعاصر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الانفصالية التي يعيشها المسلم المعاصر بين العقيدة والسلوك.

- انحراف وضعف الإيمان بالله والرسل والرسالة واليوم الآخر لدى الكثير.

خامسًا: أهداف البحث

يمكنني أن ألخص أهداف هذا البحث فيما يأتي:

- عرض الأصول العقيدية الواردة في سورة يس.
- معرفة مناهج وأساليب القرآن الكريم في الرد على الشبهات الواردة على العقيدة الإسلامية من خلال سورة يس
- معرفة التصور الصحيح لحقيقة الإيمان بالله وبالرسل والرسالة واليوم الآخر.
- تشجيع الدراسات في مجال القرآن الكريم وإثراء المكتبة بهذا النوع من الدراسات
- دفع الفرد المسلم إلى الاستقامة في السلوك.

سادسا: منهج البحث

التزمت في إنجاز هذا البحث بالمنهج التحليلي، حيث عمدت إلى جمع الآيات القرآنية في السورة موضوع الدراسة المتعلقة بالموضوع، ثم سعيت إلى فهم تلك الآيات بتحليل عناصرها وتبيين حقيقتها.

وقد اعتمدت في تخريج الآيات على رواية حفص، وذلك على أساس أن كل التفاسير التي اعتمدت عليها لا تعتمد إلا على رواية حفص، كما أني لو التزمت في تخريج الآيات على رواية ورش فالإحالة لن تكون مضبوطة بدقة.

والتزمت في تخريج الأحاديث بإحالتها إلى مضانها مرتبة على حسب أهمية الكتاب، بادئة بالبخاري فمسلم فأبي داود، فإذا لم أجد الحديث في هذه المصادر خرجته من مصادر أخرى.

كما ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في المتن، وقد التزمت أن أترجم لكل علم من مصدرين على الأقل إلا بالنسبة لبعض المتأخرين أو من لم أقف على ترجمته إلا في مصدر واحد.

وختمت الرسالة بفهارس للآيات والأحاديث والأعلام المترجم لهم، وللمصادر والمراجع، وللمحتويات.

سابعا: الدراسات السابقة

لا شك في أن أي بحث من البحوث لا ينطلق من فراغ، بل كل بحث ينبني على دراسات سابقة، تكون ساعدا للباحث، أما بالنسبة لهذه الدراسة فلم أعثر على دراسة مستقلة سابقة تناولت هذا الموضوع بالدراسة، ما عدا التفاسير التي لم تتوسع في موضوع بحثنا توسعا كافيا. كتفسير القرآن الكريم لابن كثير، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسير روح القرآن الكريم لعفيف عبد الفتاح طبارة..

ثامنا: صعوبات البحث

وقد واجهتني في إعداد هذه المذكرة صعوبات عديدة، أذكر منها طبيعة الموضوع ذاته، إذ أن من يتعامل مع كتاب الله وهو كلام الخالق جل وعلا، يشعر بالرهبة والخوف من أن يزل أو يصل إلى نتائج غير سليمة.

تاسعا: خطة البحث

لقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

الفصل التمهيدي: وقد جعلته لتحديد المفاهيم التي استخدمتها في العنوان، فتناولت لفظ العقيدة، ولفظ الأصول، وعرفت بسورة يس موضوع البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي: مفاهيم ومصطلحات

المبحث الأول: مفهوم العقيدة.

المبحث الثاني: مفهوم الأصول.

المبحث الثالث: التعريف بسورة يس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم العقيدة

المطلب الأول: المعنى اللغوي

تذكر المعاجم اللغوية القديمة والحديثة[1] على السواء أن لفظ العقيدة مأخوذ من العقد، وهو الجمع بين أطراف الشيء، ويقال عقد الحبل بمعنى شده، وهو ضد حله، كما أنه يطلق على عقد البناء، والعهد، والبيع، والنكاح، وما أشبه ذلك.

وقد استعمل في البداية في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم استعير بعد ذلك للمعاني، نحو عقد البيع، والعهد، وغيرهما، فيقال: «عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه»، نحو قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾[2]، وتعقيد الإيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه، وجمعه عقود[3].

والعقيدة أيضا هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده حيث يعقد الإنسان عليه قلبه جازما به سواء كان حقا أم باطلا[4].

---

(1)-أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج4، مادة عقد، ص3030-3031، وأحمد بن فارس بن زكرياء: مجمل اللغة، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، (لبنان: مؤسسة الرسالة، (1406هـ-1986م))، ج3، مادة عقد، ص620-621، والفيروز أبادي: القاموس المحيط، ط3، (مصر: المطبعة المنيرية، 1307هـ)، ج4، فصل العين، باب الدال، ص312-313، والراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، د.ط، (لبنان: دار المعرفة، د.ت) مادة عقد،ص344، والخليل الفراهيدي: كتاب العين، ت: محمد المغزوي وإبراهيم السامرائي، ط1، (بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (1408هـ-1980م))، ج1، باب العين والقاف والدال، ص140-141، وأحمد رضا: معجم اللغة، د.ط، (لبنان: مكتبة الجنان، (1375هـ-1960م))، مج4، مادة ع-ق-د، ص157-158.

(2)-المائدة، الآية: 89.

(3)-الراغب الأصفهاني: المرجع السابق، مادة عقد، ص344.

(4)-ابراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ص614. (دون معلومات نشر)

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي

ذكر العلماء في تعريف العقيدة في الاصطلاح الشرعي، جملة من التعاريف نذكر منها ما يأتي:

1-التعريف الأول:

محمد سعيد رمضان البوطي:

يعرف العقيدة بأنها: «التصديق والاعتراف الكامل من غير تبديل أو نقص، والاستسلام اليقيني لجميع أركان الإسلام، ولا يشترط لصحة هذه التسمية أن يكون ذلك مصحوبا بسلوك عملي في شؤون العبادة، وسائر الأحكام الشرعية الأخرى، وإن كان التقصير في شيء منها موجبا للفسق»[1].

وبالنظر إلى هذا التعريف نجد أن محمد سعيد رمضان البوطي وغيره، قد عرف العقيدة الإسلامية انطلاقا من مفهوم الإيمان في اللغة الذي هو التصديق، وعليه فالعقيدة والإيمان شيء واحد، كما أننا نرى أن عنصر العمل عنده شرط مكمل لحقيقة الإيمان، وليس جزءا رئيسا فيه.

في حين أننا نجد البعض الآخر من العلماء قد جعل العمل شرطاً وجزءاً أساسا من أركان العقيدة الإسلامية، بحيث إذا انتقص هذا الركن انتقص معنى الإيمان بالدين كله، وهذا ما نلمسه في تعريف عبد المجيد النجار.

2-التعريف الثاني:

عبد المجيد النجار:

ويعرفها بأنها: ما يطلب من المسلم أن يعقد عليه قلبه، فيكون مصدقا به تصديقا جازما، لا يداخله الشك بحال من الأحوال، كما انه يمكن ان تطلق على التعاليم الأساسية الكبرى، التي إذا انتقص واحد منها بالإنكار، أو الشك، انتقص الإيمان بالدين كله[2].

---

[1]-كبرى اليقينيات الكونية، ط8، (سوريا، الجزائر: المكتبة للإعلام والنشر، 1402هـ)، ص77. انظر: محمود الخالدي: العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، د.ط، (الجزائر: مكتبة الرسالة الحديثة، شركة الشهاب، 1985م)، ص15.

[2]-الإيمان بالله وأثره في الحياة، ط1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ص3

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولذلك فمفهوم العقيدة في الاصطلاح هي التصديق الجازم بكل الحقائق المنزلة من السماء، تصديقا يعقد عليه المسلم قلبه، فلا يخامره فيه شك بحال من الأحوال، مع تطبيقه في أرض الواقع.

المبحث الثاني: مفهوم الأصول

المطلب الأول: المعنى اللغوي

ورد في معاجم اللغة أن الأصل بفتح الأول، وسكون الصاد هو أسفل كل شيء، وأساسه، وما يبتنى عليه غيره، سواء كان الإبتناء حسيا كالأساس الذي يشيد عليه البناء فهو أصل له، أم كان الإبتناء عقليا كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية[1].

وقد نقل العلماء كلمة أصل من معناها اللغوي إلى معان مجازية أخرى، نحو: القاعدة، الدليل، الراجح، ومقابل الفرع[2].

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي

تستعمل كلمة أصل في العقيدة الإسلامية وعلمها بعدة معان منها:

1-ما يبتنى عليه غيره: وذلك لأن كل ما عداه من أمور الدين يبتنى عليها، ويتفرع عنها.

2-ما يقابل الفرع: وذلك لأنها أصل في مقابلة علم الفقه أو الشرائع.

3-القاعدة: لأنها قاعدة يبتنى عليها غيرها من الفروع الأخرى[3]، قال الجرجاني[4] في

---

(1)-أنظر: أبو البقاء الكفوي: الكليات، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (1413هـ-1993م))، مادة أصل، ص122-123، وابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة أصل، ص89، وأحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، ط3، (مصر: مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م))، ج1، مادة أصل، ص109، والفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1، فصل الهمزة باب الام، ص318، والراغب الأصفهاني: المفردات، مادة أصل، ص28، والتهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، د.ط، (د.ب، (1382هـ-1983م))، مادة أصل، ص122-123.

(2)-رفيق العجم: موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، د.ط، (لبنان: مكتبة لبنان، د.ت)، ج1، مادة الأصل، ص197-198.

(3)-المرجع نفسه، ص190-191-192.

(4)-الجرجاني: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني، أبو بكر توفي سنة (471هـ-1078م)، واضع أصول البلاغة، وكان من أئمة اللغة، من أهل جرجان من كتبه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وإعجاز القرآن. انظر: الزركلي: الأعلام، مج4، ص48-49. الجرجاني،التعريفات، ت: عبد المنعم الحفني، د.ط، (القاهرة: دار الرشد، د.ت)، ص9-10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعريفه للأصول: «هو عبارة عما يبتنى عليه غيره، ولا يبتنى هو على غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره»[1]، فنجد أن تعريفه يوافق كثيرا المعنى اللغوي، أي ما يبتنى عليه غيره من الأحكام العملية الأخرى.

وذكر الشهرستاني[2] كذلك تعريفا للأصول عند المتكلمين فقال: «الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم»[3].

فنلاحظ في هذا التعريف أنه أغفل الجانب الغيبي والأخروي في الدين، فحصر الأصول إلا في معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومعرفة الرسل والأنبياء بدلائلهم.

وقال الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»[4].

يقول عبد العزيز بن باز: «أن هذه الأركان السابقة هي أصول العقيدة التي نزل بها كتاب الله العزيز»[5].

ومن هنا نخلص إلى أن الأصول والمتمثلة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، هي التي يبتنى عليها غيرها من الأحكام التطبيقية.

---

(1)-التعريفات، ص38.

(2)-الشهرستاني: هو أبو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، صاحب التصانيف، نهاية الإقدام في علم الكلام، والملل والنحل، مات سنة (548هـ). انظر: أبو عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج4، ص149. انظر: أبو بكر أحمد علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، د.ت)، مج11، ص347و أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبوبكر بن خلكان: وفيات الأعيان، د.ط، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1948م)، ج3، ص403.

(3)-الملل والنحل: ت: محمد سيد كيلاني، ط1، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، (1387هـ-1987م))، ج1، ص41-42.

(4)-أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله -سبحانه- حديث رقم 1، د.ط، (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج1، ص36-37.

(5)-العقيدة الصحيحة وما يضادها، ط1، (الرياض، السعودية: دار القاسم للنشر، 1415هـ)، ص3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: التعريف بسورة يس

لما كان موضوع بحثي هو "أصول العقيدة في سورة يس"، فإني أحاول تقديم لمحة عن السورة، فأذكر ما يتعلق بترتيبها بين السور، وعدد آياتها، ومكان وزمان نزولها، وأسباب نزولها، وعلاقتها بالسورة التي قبلها وبعدها، وأهم الموضوعات فيها وفضائلها.

المطلب الأول: في السورة: ترتيبها، عدد آياتها، مكان وزمان نزولها، أسماؤها

أولا: ترتيب السورة وعدد آياتها

1-ترتيب السورة:

سورة يس هي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول في قول جابر بن زيد، نزلت بعد الجن وقبل الفرقان[1]، وفي ترتيب المصحف هي السورة السادسة والثلاثون بعد فاطر وقبل الصافات.

2-عدد آياتها:

قسم العلماء سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي: الطوال، والمئون، والمثاني، والمفصل.

والطوال: هي سبع سور: البقرة، آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام والأعراف، فهذه ستة، واختلفوا في السابعة، أهي الأنفال وبراءة معا لعدم بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس.

المئون: وهي التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

والمثاني: وهي التي تلي المئين في عدد آياتها.

والمفصل: هو أواخر القرآن الكريم، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشرة قولا، فقيل أوله ق، وقيل غير ذلك، وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-انظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (لبنان: دار المعرفة، د.ت)، ج1، ص193. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، د.ط، (تونس: الدار التونسية، الجزائر، المؤسسة الوطنية، 1984)، ج22، ص343.

(2)-محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، د.ط، (د.ب: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج1، ص345.

وعدد آيات سورة يس ثمانون وثلاث عند الكوفيين، واثنتان وثمانون عند الباقين، وعلى هذا فهي تنتمي إلى القسم الثالث ألا وهو المثاني[1].

ثانيا: مكان وزمان نزول السورة، أسماؤها

1-مكان وزمان نزول السورة:

نقصد بمكان نزول السورة المكان الذي نزلت فيه، هل هو مكة أم المدينة، وسورة يس مكية بإجماع العلماء، إلا أن بعضهم استثنى منها قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[2]. فقالوا: إنها نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، وينتقلوا إلى جوار مسجد الرسول ﷺ، ويورد محمد الطاهر بن عاشور[3] ردا على ذلك من خلال ما رواه ابن عطية، حيث يقول: «وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة، ولكنها احتج بها عليهم في المدينة»[4].

وأما بالنسبة لزمان السورة، فهي نزلت في الفترة المتوسطة من حياة المسلمين بمكة، أي فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء[5].

---

[1]-انظر: مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، د.ط، (د.ب: المكتبة العلمية، د.ت)، ج1، ص390. عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، د.ط، (د.ب: دار الفكر العربي، د.ت)، مج6، ج22، ص904.

[2]-يس/الآية: 12.

[3]-الطاهر بن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشراف تونس، وكبير علمائها، ولي القضاء سنة 1267هـ، ثم الفتية سنة 1277هـ، وتوفي بتونس، له كتب منها: شفاء الغليل، مقاصد الشريعة، التحرير والتنوير. انظر: الزركلي: الأعلام، ط5، (بيروت: لبنان، دار العلم للملايين، 1980)،مج6، ص183.

[4]-محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، د.ط، (القاهرة: دار الكاتب العربي للنشر، (1387هـ-1965م))، ج15، ص1. عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: عمار طالبي، د.ط، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت)، ص5.

[5]-عبد الله محمود شحاتة: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، د.ط، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، ص324).

2- أسماء السورة

مما ينبغي التنبيه إليه، أن أسماء السورة توقيفية، بلغها جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وأن السورة تسمى بأغرب شيء فيها، وهكذا جرت عادة العرب في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من مستغرب من خلقة أو صفة تخصه، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة، بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت سور الكتاب العزيز[1].

والاسم الذي اشتهرت به هذه السورة (يس)، وفي بحثي هذا وقفت على بعض الاختلاف بين العلماء في تحديد أسماء السورة، فالفيروز أبادي[2] يذكر اسمين للسورة فقط، وهما: يس لافتتاحها بهذه الأحرف، وسورة حبيب النجار لاشتمالها على قصته[3]، في حين أن برهان الدين البقاعي يورد أربعة ألقاب للسورة، وهي: القلب، والدافعة والمعمة[4]، واعتقد أنه استقى هذه الأسماء من خلال أحاديث موضوعة وضعيفة وكلها لا تثبت.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة، وعلاقتها بالسورة التي قبلها وبعدها

أولا: أسباب نزول السورة

لم يرد سبب نزول واحد لمجمل سورة يس، بل وردت مجموعة من الأسباب لبعض الآيات القرآنية فيها، كالآتي:

1-الآيتان رقم (1) و(2): وهما قوله تعالى: ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

---

(1)-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص269-270.

(2)-الفيروز أبادي: هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو الطاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي، من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين من أعمال شيراز (729هـ-1329م)، ثم انتقل إلى العراق، وجال مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند، وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه: القاموس المحيط، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وسفر السعادة. الزركلي: الأعلام، مج7، ص 146.

(3)-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ص390.

(4)-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط، (بيروت: دار الكتاب العلمية، د.ت)، ج6، ص239.

عن ابن عباس[1]، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة، فيجهر بالقراءة، حتى تأذى به الناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: «ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد[3].

2-الآية رقم(8): قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام[4] وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجر ليرميه، فلما أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه، والتصق الحجر بيده، فلماعأها إلى أصحابه أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني، وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال: والله ما رأيته، ولقد سمعت صوته، فقال الثالث: والله لأشدخن أنا رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقري ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه، فقيل له ما شأنك؟ قال: شأني عظيم، رأيت الرجل، فلما دنوت منه، وإذا فحل يحظر بذنبه ما رأيت فحلا قط أعظم منه حال بيني وبينه، فواللات والعزة لو دنوت منه لأكلني[5]. فأنزل الله

---

[1]-ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله يكنى بأبي عباس لازم كبار الصحابة فأخذا عنهم يسمى حبر الأمة إليه انتهت الرياسة في الفتوى والتفسير، توفي بالطائف سنة 268هـ. انظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء، ط2، (بيروت: دار الرائد العربي، (1401هـ-1981م))، ص148. وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء، ط3، (بيروت: دار الكتاب العربي، (1400هـ-1980م))، ص

[2]-يس، الآية: 10.

[3]-السيوطي: أسباب النزول، ت: حامد أحمد الطاهر، ط1، (القاهرة: دار الفجر للتراث، (1423هـ-2002م))، ص343.

[4]-أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، اشد الناس عداوة للنبيﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وكان يقال له أبا الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل. انظر: الزركلي: الأعلام، مج5، ص87.

[5]-أخرجه القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[1].

3-الآية رقم (12): قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

عن أبي سعيد الخدري قال:كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا»[2].

4-الآية رقم (77): قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «جاء العاص بن وائل[3] إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم، قال: نعم، يبعث الله هذا ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم، قال: فنزلت الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ إلى آخر السورة»[4].

ثانيا: علاقتها بالسورة التي قبلها وبعدها

إن من جوانب إعجاز القرآن الكريم، أنك تجد السورة القرآنية وثيقة الصلة بالسورة التي قبلها، وبالتي بعدها كذلك، وبالنسبة لسورة يس، فمظهر ارتباطها بسورة فاطر يظهر في عدة وجوه:

---

(1)-يس، الآية: 8.

(2)-أخرجه الترمذي: صحيح سنن الترمذي، أبواب: تفسير القرآن، يس، رقم الحديث: 2578، 3456.صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، ط1، (د.ب: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، (1408هـ-1988م))، ص97.

(3)-العاص بن وائل: توفي عام (3ق.هـ-620م) من حكام قريش في الجاهلية، والد عمرو بن العاص الصحابي، أدرك الإسلام، توفي بمكة ولم يسلم. انظر:منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص279. الزركلي: الأعلام، مج3، ص247.

(4)-أخرجه الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير يس، د.ط، (لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت)، ج2، ص429. وانظر: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، ط2، (لبنان: دار الكتب العلمية، (1411هـ-1997م))، ص208.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-أنه لما ذكر في سورة فاطر قوله: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[1]. وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾[2]. والمراد به محمد ﷺ، وقد أعرضوا عنه وكذبوه، فافتتح هذه السورة بالاقسام على صحة رسالته، وأنه على صراط مستقيم لينذر آباءهم[3].

2-أنه قال في سورة فاطر أيضا: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4]، قال في سورة يس ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[5].[6].

3-وفي سورة فاطر، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾[7]، وفي سورة يس قال: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[8]؛ فزاد القصة بسطا[9].

وهكذا ومن خلال ما سبق، نجد أن سورة يس جاءت مكملة ومتممة لمعاني سورة فاطر، وأكثر تفصيلا، وهذا ما يوضحه الغرناطي فيقول: «لما أوضحت سورة فاطر من عظيم ملكه تعالى وتوحيده بذلك، وانفراده بالملك والخلق والاختراع، ما تنقطع العقول دون تصور أدناه، ولا تحيط من ذلك إلا بما شاء، وأشارت من البراهين والآيات إلى ما يرفع الشكوك ويوضح السلوك»[10]. فجاءت سورة يس لبيان تلك الآيات.

---

(1)-فاطر، الآية: 37.

(2)-فاطر، الآية: 42.

(3)-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، د.ط، (د.ب: دار الفكر العربي، د.ت)،مج6، ج22، ص904.

(4)-فاطر، الآية: 13.

(5)-يس، الآيتان: 38-39.

(6)-المراغي: تفسير المراغي، ط1، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، (1365هـ-1946م))، ج22، ص144.

(7)-فاطر، الآية: 12.

(8)-يس، الآية: 41.

(9)-السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص127-128.

(10)-أحمد الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، ت: محمد الشعباني، د.ط، (د.ب، د.د، (1410هـ-1990م))، ص287.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما بالنسبة لعلاقتها بالسورة التي بعدها وهي الصافات في المصحف الشريف، فيقول السيوطي[1] في ذلك: «إن هذه السورة بعد يس كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان، وفي تفصيل أحوال القرون المشار إلى إهلاكهم، كما أنه بين السورتين تفصيل لمثل ذلك»[2]. وهكذا، فالعلاقة بين سورة يس وسورة الصافات تتمثل في أنهما أشارا إلى قصص بعض الغابرين في القرون السالفة.

المطلب الثالث: موضوعات السورة وفضائلها

أولا: موضوعات السورة

تولي السور المكية أهمية بالغة لإثبات وحدانية الله تعالى، وكمال صفاته، وإثبات نبوة الأنبياء والمرسلين، وإقامة الدلائل المثبتة للبعث والنشور. وسورة يس إحدى السور المكية التي تسير في هذا المنحى، حيث تعالج موضوعات العقيدة من بعض جوانبها، فهي تتعرض لثلاثة قضايا رئيسة في العقيدة الإسلامية هي:

1-الإيمان بالله تعالى:

حيث يأتي استنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن في قوله جل وعلا: ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِي. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[3]. والسورة كذلك تحتوي على عدد هائل من دلائل وجود الله ووحدانيته في الفطرة والآفاق والأنفس ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا

---

(1)-جلال الدين السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد (849هـ-1445م)، له نحو 600مصنف، منها: الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة وتوفي سنة (911هـ-1505م)، من كتبه: الإتقان في علوم القرآن وتفسير الجلالين، والجامع الصغير، وطبقات الحفاظ، انظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص301.

(2)-السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص129.

(3)-يس، الآيتان: 23-24.

(4)-يس، الآيتان: 33-34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[2]، وغيرها من الآيات الدالة والشاهدة على قدرته سبحانه وتعالى وكمال صفاته.

2-الرسل والرسالة:

وهو من أهم الموضوعات، حيث تتعرض السورة لهذه المسألة من بدايتها في قوله تعالى: ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3]. كما تسرد لنا السورة قصة أصحاب القرية عندما جاءهم المرسلون لتحذر من عاقبة التكذيب بالرسالة، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[4]، إلى غاية قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[5]، وتنفي السورة عدة شبهات حول الرسالة منها الاعتراض على بشرية الرسل -عليهم السلام- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[6]، وتنفي اتهام رسولنا الكريم بقول الشعر، وأن القرآن الكريم عبارة عن شعر، قال ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[7]. ، وشبهات أخرى سنتعرض لها لاحقا.

3-اليوم الآخر:

وهو موضوع رئيسي في السورة، حيث نجده يتردد في مواضع كثيرة، وقد تحدث الله سبحانه وتعالى فيها عن أحداث اليوم الآخر، فأخبرنا عن البعث فقال: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا

---

[1]-يس، الآية: 36.

[2]-يس، الآيتان: 38-39.

[3]-يس، الآيات: 1-3.

[4]-يس، الآية: 13.

[5]-يس، الآيتان: 28-29.

[6]-يس، الآية: 15.

[7]-يس، الآية: 69.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]، وأخبرنا كذلك عن النفخ في السور فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[2]، وتحدث أيضا عن الحساب، وحال الناس فيه، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[4]، كما بينت السورة حال المؤمنين في الجنة ونعيمها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[5]، وفي مقابل ذلك صورت لنا السورة أيضا حال الكفار في جهنم لتحذر من عاقبة التكذيب، قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[6]، وفي ختام السورة تحدث الله سبحانه وتعالى عن شبهة إنكار البعث، ورد عليها في عدة آيات، نذكر منها قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[7] إلى آخر السورة.

وقد اختلف العلماء في تحديد الموضوع الرئيسي للسورة، فبرهان الدين البقاعي مثلا يقول: «إن مقصودها إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، وقلب جميع الحقائق»[8]، في حين أن سيد قطب[9] يرى أن: «القضية التي يشتد عليها التركيز في السورة هي قضية البعث

---

[1]-يس، الآية: 52.

[2]-يس، الآية: 51.

[3]-يس، الآية: 8.

[4]-يس، الآية: 12.

[5]-يس، الآيات: 55-57.

[6]-يس، الآيتان: 63-64.

[7]-يس، الآيات: 78-80.

[8]-برهان الدين البيقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص240-241.

[9]-سيد قطب: هو سيد قطب إبراهيم حسن الشاذلي، ولد في قرية موشنة، بتاريخ 9 أكتوبر 1906، تحصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم، واشتغل بعدة وظائف في الوزارة في سنة 1954، اعتقل مع مجموعة كبيرة من زعماء الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالسجن لمدة 15 سنة، تم إعدامه في 29-07-1966، من أهم كتبه: التصوير الفني في القرآن، خصائص التصوير الإسلامي، في ظلال القرآن، معالم على الطريق. أنظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، د.ط (دمشق: بيروت، دار القلم، 1991). أحمد محمد البدوي: سيد قطب ناقدا، د.ط، (القاهرة: الدار الثقافية، 2002).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنشور»[1].

وفي رأيي أن السورة تشتمل على الموضوعين معا، علاوة على موضوع الإيمان بالله تعالى، وهذا ما سنبينه لاحقا.

ثانيا: فضائل سورة يس

وردت في سورة يس مجموعة من الأحاديث تدل على فضائل السورة، نذكر منها ما يأتي:

1-أنها قلب القرآن

عن أنس[2] ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشرة مرات»[3].

2-قراءتها عند الموتى

عن معقل بن يسار[4] ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ: «البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا، واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها، ويس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم»[5].

---

(1)-سيد قطب: في ظلال القرآن، د.ط، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، مج6، ص6.

(2)-أنس بن مالك: هو ابن مالك بن النظر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، وهو أحب المكثرين من الرواية عنه ﷺ، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وسبعين، وقد جاوز المائة. انظر: ابن حجر: الإصابة، د.ط، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)ج1، ص71.خالد عبد الرحمن العك: موسوعة عظماء حول الرسول، ط1، (د.ب: دار النفائس، (1412هـ-1991م))، ص465.

(3)-أخرجه الترمذي: السنن، أبواب ما جاء في فضائل القرآن، باب: ما جاء في يس، حديث رقم: 3048، ج6، ص237. وأخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: السنن، باب: ما جاء في فضل يس، حديث رقم: 34191، ت: السيد عبد الله هاشم المدني، د.ط، (باكستان: حديث الخادمي، (1404هـ-1984م))، ج2، ص328. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي إسناده، هارون أبو محمد شيخ مجهول، وقال الذهبي في ترجمة هارون: أنا اتهمه بهذا الحديث. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، د.ط، (بيروت: دار المعارف، د.ت)، ج2، ص55.

(4)-معقل بن يسار: هو صحابي ممن بايع تحت الشجرة. انظر : ابن حجر، الإصابة، ج3، ص447.

(5)-أخرجه أحمد بن حنبل: المسند وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، د.ط، (د.ب: دار الفكر، د.ت)، ج4، ص121.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عن معقل بن يسار أيضا، قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة يس إقرؤوها على موتاكم»[1]؛ يعني على المحتضرين، ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها تقرأ عند أمر إلا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح.

3-استحباب قراءتها مطلقا

عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة يس تدعى في التوراة المعمة، قيل: ما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى الدافعة والقاضية، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت في جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة، ونزعت عنه كل عل ودواء»[2].

ومن خلال تتبعنا لبعض فضائل سورة يس، نجد أن أغلب الأحاديث ضعيف أو غريب، وللسورة وقع متميز في نفوس المسلمين ورثه الخلف عن السلف، فكثير منهم يقرؤها في الصباح والمساء، وتقرأ على المريض للشفاء، وعلى المحتضر لتيسير خروج الروح والقائلون بهذا، -وكما ذكرنا- يستدلون بأحاديث لم ترق إلى درجة الصحة، ولكن كثرتها تجعلها من قبيل الحسن.

---

(1)-أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: السنن، كتاب الجنائز، باب: القراءة عند الميت، حديث رقم: 3125، د.ط، (السعودية: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت)، ج3، ص191. وانظر: ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت: عامر العمري الأعظمي، د.ط، (الهند: الدار السلفية، د.ت)، ج3، ص237. وابن حبان: الصحيح (الإحسان بترتيب ابن حبان علي بن بلبان الفارسي)، رقم الحديث رقم: 2991. ط1، (بيروت: دار الفكر، (1407هـ-1987م))، ج5، ص3.

(2)-أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: الموضوعات، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج1، ص179. قال ابن الجوزي: هذا الحديث من جميع طرقه باطل لا أصل له.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: الإيمان بالله

تمهيد

المبحث الأول: الآلهة في منظور السورة

المبحث الثاني: دلائل وجود الله ووحدانيته

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالله في الفرد والمجتمع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

الإيمان بالله تعالى هو الأصل الأول من أصول العقيدة الإسلامية، وعليه مدار الإسلام، بحيث إذا تحقق هذا الإيمان، كان ركيزة لما بعده من حقائق الدين، سواء ما كان عقديا يطلب تحمله بالتصديق القلبي، أم ما كان شرعيا يطلب تحمله بالعمل السلوكي، ولا نبالغ إن قلنا أن محور القرآن الكريم كله يدور حول هذا الأصل.

وسورة يس من السور المكية التي تتناول هذا الركن كموضوع رئيسي فيها، من خلال توجيه أنظار الناس إلى شواهد وجوده ووحدانيته تعالى في الفطرة والآفاق والأنفس.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث رئيسة، حيث تناولت في المبحث الأول لبع الآلهة المذكورة في السورة، ثم تعرضت في المبحث الثاني إلى دلائل وجوده ووحدانيته، وختمت الفصل بالحديث عن أثر هذه العقيدة في الفرد والمجتمع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الآلهة في منظور السورة

عبد الإنسان قبل مجيء الإسلام آلهة مختلفة، مثل النجوم، الرياح، والأصنام، الأوثان، والشياطين، وقد عمدت في هذا المبحث إلى الإشارة لبعض هذه المعبودات الواردة في سورة يس، فتناولت في المطلب الأول عبادة الأصنام والأوثان على أساس أن جل المفسرين قد فسر لفظ الآلهة بالأصنام والأوثان، التي كانت منتشرة عند العرب في الجاهلية، ثم تطرقت في المطلب الثاني إلى عبادة الشيطان.

المطلب الأول: الأصنام والأوثان

كانت الأوثان والأصنام من أهم المعبودات التي عرفها العرب في الجاهلية، وقد أشارت إليها سورة يس في موضعين، قال تعالى: ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِي﴾[1]. وقوله أيضا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ. لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُحْضَرُونَ﴾[2].

وذهب معظم المفسرين إلى أن المقصود بالآلهة هي الأصنام، التي لا تستطيع بوجه من الوجوه دفع الضرر عن نفسها، ولا أن تبعد السوء وتكشفه عن غيرها[3]، ويقول في ذلك محمد علي الصابوني في تفسيره للآية الأولى: «أي كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تغني عن عابدها شيئا؟ فلو أراد الله أن ينزل بي شيئا من الضرر والأذى، وشفعت لي لم تنفع شفاعته ولم يقدروا على إنقاذي»[4]. ويقول

---

(1)-يس، الآية: 23.

(2)-يس، الآيتان: 74-75.

(3)-انظر: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي: زاد المسير في علم التفسير، ت: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1، (دار الفكر، (1407هـ-1987م))، ج6، ص267. ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي، المسمى أسرار التتريل وأسرار التأويل، د.ط، (دار الفكر، (1402هـ-1982م))، د.ج، ص582. علي بن حبيب الماوردي: النكت والعيون -تفسير الماوردي-، ت: خضر محمد خضر، ط1، (الكويت: مطابع مقهوي، (1406هـ-1986م))، ج3، ص386.

(4)-صفوة التفاسير، ط4، (بيروت، لبنان: دار القرآن الكريم،(1402هـ-1981م)) مج3، ص10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن كثير[1] في تفسيره للآية الثانية «لا يستطيعون نصرهم؛ أي لا تقدر الآلهة على نصر عابدها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر»[2].

وقد وضح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مفهوم الأصنام فقال: «والأصنام، قيل أنه معرب شمن، وهو وثن»[3]. فنجده قد أعطى مفهوما واحدا لكل من الصنم والوثن، في حين أن الراغب الأصفهاني[4] قد عقد فرقا بينهما فقال في ذلك: «الصنم جثة متحدة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونه، متقربين به إلى الله تعالى، وجمعه أصنام، قال الله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[5]. وكل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم». بعدها وضح معنى الوثن فقال: «الوثن واحد الأوثان، وهو حجارة كانت تعبد»[6]. ومهما يكن من أمر فإن الأوثان والأصنام هدفهما واحد، وهو اتخاذها معبودات من دون الله تعالى في أي صورة كانت تلك العبادة.

وكانت هذه المعبودات منتشرة انتشارا واسعا في شبه جزيرة العرب، إذ يقول ابن إسحاق[7]: «واتخذ أهل كل دار صنم يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حتى

---

(1)–ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وتوفي بدمشق، من كتبه: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، تفسير القرآن الكريم. انظر: ابن عماد: شذرات الذهب، ج6، ص231. الزركلي: الأعلام، ط5، (بيروت: لبنان، دار العالم للملايين، 1980)، ج1، ص360.

(2)–تفسير القرآن الكريم، د.ط، (د.ب: د.د، (1367هـ–1947م))، ج3، ص568.

(3)–مختار الصحاح، مادة الأصنام، ص446 .

(4)–الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (الأصبهاني)، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، سكن ببغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي سنة (502هـ– 1108م)، من كتبه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأخلاق، جامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن. انظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص24–25.

(5)–الأنعام، الآية: 74.

(6)–المفردات في غريب القرآن، ص290.

(7)–ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها لابن هشام، وكتاب الخلفاء، وسكن بغداد ومات فيها. انظر: ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، (د.ب: منشورات دار الآفاق الجديدة، د.ت)، ج3، ص . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مج1، ص214–217.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل إلى أهله»[1].

وكانت قريش إذا أهلت قالت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما يملك، فنجدهم يوحدون الله تعالى بالتلبية، ولكنهم يشركون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده[2].

ويوضح ابن هشام[3] أن أصل عبادة الأصنام في أرض العرب تعود إلى عمر بن لحي[4] [5]، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «إني رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار»[6]، فهو من ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل إبراهيم عليه السلام، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا[7].

---

(1)-ابن هشام: السيرة النبوية، دط، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ج1، ص78.

(2)-ابن كثير: البداية والنهاية، د.ط، (دار الفكر العربي، د.ت)، ج2، ص188.

(3)-ابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، وقد اختلف في نسبته، فقيل قحطاني، وقيل عدناني، ولد بالبصرة وتلقى العلم فيها وتاريخ ولادته مجهول، رحل إلى مصر وأقام بها، وقد اشتهر بحمل العلم وتقدم في علم النسب والنحو، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وهو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها، توفي بالفسطاط بمصر عام (213هـ -884م). انظر: ابن هشام: المرجع السابق، المقدمة وابن خلكان: وفيات الأعيان، مج3، ص380.

(4)-عمرو بن لحي: هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، كنيته أبو ثمامة، وفي نسبه خلاف شديد. انظر: الزركلي: الأعلام، مج5، ص84.

(5)-السيرة النبوية، ج1، ص71.

(6)-أخرجه البخاري: باب مع الفتح، ج8، ص283. وأخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة أهلها، رقم الحديث: 2856، ط2، (بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1972)، ج4، ص2191.

(7)-ابن كثير: السيرة النبوية، ت: مصطفى عبد الواحد، د.ط، (دار الفكر، د.ت)، مج1، ص66.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: عبادة الشيطان

تتحدث سورة يس عن عبادة أخرى عرفها الإنسان منذ أقدم العهود آلا وهي عبادة الشيطان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1]، والمعنى: أي ألم أوصكم وآمركم يا بني آدم على ألسنة رسلي ألا تطيعوا الشيطان فيما دعاكم إليه من معصيتي، فقد صد منكم خلقا كثيرا عن طاعتي حتى عبدوه[2].

ويشير ابن القيم[3] في كتابه (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)، إلى هذه العبادة فيقول: «إن هذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية، الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمان وإنما هم أولياء الشيطان أطاعوه في الإشراك ومعصية الله، والخروج عما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات، واغتر بهم من قل حظه من العلم والإيمان فوالى أعداء الله»[4]. ثم يذكر ابن قيم تلاعبات الشيطان بالفساق والمشركين فيقول: «والفاسق يستمتع بالشيطان بإعانته له على أسباب فسوقه، والشيطان يستمتع به في قبوله منه، وطاعته فيسره ذلك، ويفرح به منه، والمشرك يستمتع به الشيطان بشركه به وعبادته له ويستمتع هو بالشيطان في قضاء حوائجه، وإعانته له، فالشيطان تلاعب بالمشركين حتى عبدوه واتخذوه وذريته أولياء من دون الله»[5].

وقد قامت هذه العقيدة كما يذكر عباس محمود العقاد[60] قديما في أرض فارس في

---

(1) يس الآية: 60.

(2)-الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن الكريم، ط1، (بيروت: دار المعرفة، (1408هـ-1980م)، ج23، ص16.

(3)-ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، مولده سنة (691هـ-1292م) بدمشق، توفي سنة (751هـ-1350م)، تتلمذ بشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه وألف تصانيف كثيرة منها أعلام الموقعين، مدارج السالكين، الفوائد أنظر: ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص168، وانظر: الزركلي الأعلام، مج 6، ص56.

(4)-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، د.ط، (بيروت: المكتبة الثقافية د.ت) ج1، ص171.

(5)-المرجع نفسه، ج1، ص172.

(6)-عباس محمود العقاد: ولد سنة 1889 بمصر، صحافي وشاعر وناقد مصري، دعا إلى التجديد في الأدب والحياة متأثرا بمطالعته الواسعة في الأدب، يعد من أغزر الكتاب العرب المعاصرين إنتاجا، توفي سنة 1964م من أشهر آثاره: عبقرية محمد ابن الرومي، أنظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص287.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تخوم السهوب الآسيوية، حيث لا تعرف العشائر المترحلة غير شياطين الصحاري وأرواحهم المتمردة، وعاشت هذه النحلة حقبة طويلة من الزمن، وتتسم بالشذوذ المطبق في موضوعها وأصولها وفي أركانها[1] حيث يطلق معتنقي هذه العبادة العنان للشهوات والممارسات العلنية والشاذة ابتغاء مرضاة الشيطان الذي يحب الخطيئة بكل صورها.

ويمكن القول إن الحضارة الغربية العصرية أكثر إيمانا بوجود الشيطان، فكلمة الشيطان والشيطانية والشيطنة من أشيع الكلمات في كتابات الأوروبيين العصريين حيث ظهر في باريس عند أواخر القرن الرابع عشر كتاب عن وصايا الشيطان في مقابل وصايا الله[2].

ويؤمن عباد الشيطان بمشروعية العنف والسرقة والاختطاف والقتل والتعذيب، واستغلت هذه الفرقة في الوقت المعاصر بعض شبكات الانترنيت لنشر أفكارها ومعتقداتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)-المجموعة الكاملة " العقائد والمذاهب"، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979م) مج 12، ص325-326.

(2)-المرجع نفسه ،ص385.

المبحث الثاني: دلائل وجود الله ووحدانيته في سورة يس

لم تكن مشكلة العرب في وقت نزول القرآن الكريم في إنكار وجود الله تعالى في هذا الكون، بقدر ما كانت في الإشراك به، لذلك فالمتصفح لكتاب الله يجد أن منهجه لم يفرق بين المسألتين -يعني مسألة وجود الله ومسألة وحدانيته- ولما كان كذلك فقد تقيدت بمنهجه في هذه القضية.

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب: فالمطلب الأول خصصته لدلائل الفطرة، والمطلب الثاني خاص بدلائل الآفاق، والمطلب الثالث خاص بدلائل الأنفس.

المطلب الأول: دلائل الفطرة

الفطرة في اللغة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول خلقته[1]، وأما اصطلاحا فقد عرفها الجرجاني بأنها الجبلة المتهيئة لقبول الدين[2]، وذهب جل أهل العلم إلى ان المراد بالفطرة الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وتنقسم هذه الدلالة إلى قسمين هما: دلالة نفسية وأخرى تاريخية اجتماعية.

أولا: الدلالة النفسية

معرفة الله تعالى، والإقرار بوجوده غريزة فطرية في الإنسان، حيث نجد البشر يقرون بوجوده تبارك وتعالى، ويعترفون به[4]، ويحتوي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على شواهد عديدة تدل على فطرية الإيمان بالله تعالى، وبأنها مركوزة فيه من أصل

[1]-الكفوي: الكليات، ص697.

[2]-التعريفات، ص43.

[3]-الروم، الآية: 30.

[4]-علي بن محمد بن ناصر الفقيهي: مسالك القرآن الكبير في الاستدلال على وجود الله، مجلة الجامعة الإسلامية ع53، السنة 14، (1406هـ-1981م)، ص60.

خلقته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «إن المقصود من هذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[3]، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: « قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء[4]، هل تحسون فيها من جدعاء[5]»[6].

والمتتبع لسور القرآن الكريم يجدها مليئة بدلائل كثيرة تدل على أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروسة في النفس الإنسانية، كسائر الطبائع الأخرى التي لا تنفصل عنه في أصل وجوده، وبالنسبة لسورة يس، فالشاهد النفسي على فطرية الإيمان بوجود الله ووحدانيته يتمثل في قصة مؤمن آل يس قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِي. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِي﴾[7].

---

[1]-الأعراف، الآية: 172.

[2]-تفسير القرآن الكريم، ج3، ص261.

[3]-أخرجه مسلم، كتاب الجنة باب: الصفات التي يعرف بها الإنسان في الدنيا وأهل الجنة والنار، حديث رقم 2865، ص2197.

[4]-جمعاء: أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها. انظر: مجد الدين المبارك بن محمد الجوزي بن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، د.ط، (لبنان: بيروت، دار الفكر، دت)، مج1، ص247.

[5]-جدعاء: مقطوعة الأطراف أو واحدها. المرجع نفسه، ص247.

[6]-أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم 139، ص208. انظر: مسلم باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم 2658 ، ط2، (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج4، ص2047.

[7]-يس، الآيات: 19-25.

فالفطرة الإيمانية المغروسة في نفسه قد نطقت عندما اجتمع أهل القرية وهموا بقتل رسل الله، فجاءهم صاحب القرية من أطراف المدينة يعدوا مسرعا، ودعاهم إلى توحيد الله تعالى، وأشهر إسلامه وإيمانه بالله الواحد الأحد[(1)]، وصرح في خضم ذلك بأثر نعمة الفطرة الموجودة في نفسه فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [(2)]، وفند بعدها بالأدلة العقلية الآلهة التي كانوا لها عابدين، فأخبرهم أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر[(3)]، قال المفسرون لما قال لهم ذلك ونصحهم وأعلن إيمانه، وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات، وقيل رموه بالحجارة[(4)]، قال السيد قطب متحدثا عن فطرة الإيمان المغروسة في نفس مؤمن آل يس: «إنه تساؤل الفطرة الشاعرة بالخالق المشدودة إلى مصدر وجودها الوحيد، ومالي لا أعبد الذي فطرني، وما الذي يحيد بي عن هذا المنهج الطبيعي الذي يخطر على النفس أول ما يخطر، إن الفطر مجذوبة إلى الذي فطرها وتتجه إليه أول ما تتجه، فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج فطرتها»[(5)].

وهكذا يتبين لنا أن فطرة الإيمان بالله تعالى تظهر بجلاء ووضوح أثناء المخاطر، وهذا ما وضحته لنا قصة صاحب القرية في زاوية معينة منها، بل المنكرين بالله بأصنافهم المختلفة، عندما يصادفهم خطر ما، ويجدون الموت نصب أعينهم، فإنهم يطلبون الحماية والنجاة من الله تعالى[(6)]، وهذا ما صوره لنا القرآن الكريم عندما حكى عن قصة فرعون لما أدركه الغرق، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[(7)]، كما صور لنا المولى تبارك وتعالى ذلك في موضع آخر من كتابه الحكيم عن حال السفينة التي تراطمت بها الموج من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(1)-انظر: ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج3، ص568.

(2)-يس، الآية: 22.

(3)-إسماعيل حقي البرسوي: تفسير روح البيان، د،ط (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص385.

(4)-أنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج8، ج16، ص 19.

(5)- في ظلال القرآن، مج7، ص17.

(6)-أنظر: عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ص35، ماجد عبد السلام إبراهيم نعي ظاهرة الإلحاد حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، ع16،(1422هـ-2002م)، ج1، قسم الأديان جامعة الأزهر، ص267.

(7)-يونس، الآية:90.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[1].

ومن هنا فالنفس الإنسانية مغروس فيها الشعور بوجود خالق لهذا الكون، وهو ما عبر عنه العلماء بالغريزة الدينية[2]، فوجود الله تعالى هو ذلك الشعور الطبيعي البصير، بأنه يوجد فوق كل الموجودات المحدودة المتناهية، كائنا غير محدود، ولا متناهي، يهيمن ويدبر كل أمر[3].

وقد لازم هذا الشعور الإنسان منذ القدم، وملأ عليه نفسه، وسيطر على عقله ووجدانه إحساس قوي بوجود قوة خفية تسيطر على كل شيء، وتتحكم في كل ما هو كائن من حوله[4]. وهو شعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان المتحضر، والجاهل والعالم، والباحث والفيلسوف، والخبير في المعمل، كل هؤلاء يشعرون بشعور مشترك أن الله حق، وأنه القوة القابضة على ناصية كل شيء والعالمة بكل شيء[5].

وهنا أنقل مقاله عبد المجيد النجار متحدثا عن فطرية الإيمان بالله قال: «فالإنسان كما هو في طبيعته جبل على غرائز وعواطف لا تتحول ولا تتبدل، فإنه كذلك في خلقته النفسية طبع على عرفان بجملة من الحقائق على رأسها العرفان بالله تعالى، وذلك على نحو يشبه ما حفظت به أوصاف الإنسان وخصائصه والموروثات التي تتناقلها الأجيال، فيكون كل فرد من الناس يحمل في خلاياه منذ البداية تكوينه خصائصه التي سيكون عليها طيلة حياته[6].

ومن هنا نستنتج أن التجربة الذاتية دلالة نفسية على ان الفطرة على معرفة الله تعالى، والإقرار بوجوده ووحدانيته مركوزة في أعماق النفس الإنسانية، حيث يؤكد رجوعهم إلى الله ساعة العسرة والضيق ولحظة الخطر في حياتهم.

---

(1)-لقمان، الآية: 32.

(2)-السيد سابق: عناصر القوة في الإسلام، د.ط، (الجزائر: مكتبة الشركة الجزائرية، 1998م)، ص11.

(3)-يوسف القرضاوي: وجود الله، د.ط، (الجزائر: دار البعث(1407هـ-1987م))، ص33.

(4)-سفيان بن الشيخ الحسين: دلائل وجود الله جل جلاله بين الفلسفة والعلم، ص186.

(5)-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ط11، (سوريا: دار القلم، (1423هـ-2002))، ص88.

(6)-الإيمان وأثره في الحياة، ص34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: الدلالة التاريخية الاجتماعية

وتتمثل هذه الدلالة في كون كل المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، قد عرفت إله عبدته بوجه من الوجوه، مما يدل على فطرية الإيمان بالله تعالى قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[1]، إلى غاية آخر القصة.

ذهب معظم المفسرين إلى أن القرية هي أنطاكية[2]، وقد كان أهلها يعبدون الأصنام فأرسل الله تعالى إليهم الرسل لهدايتهم إلى طريق الحق، ولكنهم كفروا بهم، وهموا بقتلهم[3]، فجاء من أطراف المدينة مؤمن آل يس-كما روي عنه في بعض الروايات- لمساندتهم وأعلن إسلامه أمام الملأ فقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِي﴾[4].فنجد في كلامه إشارة إلى الأصنام أو الآلهة التي عبدها أهل القرية من دون الله في ذلك الزمن، مما يدل دلالة صريحة أنهم -يعني سكان القرية - كانوا يعبدون إله في ذلك الوقت بصرف النظر على حقيقته، مما يبين لنا أن تاريخ الإنسانية كله يشهد على أن كل المجتمعات البشرية عرفت الآلهة متعددة اتخذتها معبودا بشكل من الأشكال.

---

(1)-يس، الآيات: 13-16.

(2)-أنطاكية: قيل أول من بناها أنطيغونيا في السنة السادسة من موت الاسكندر وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه وسعة الخير، وقيل أن بينها وبين حلب مسافة يوم وليلة، فتحها المسلمين على يد أبا عبيدة الجراح، أنظر: السمعاني الأنساب، ط1، (بيروت، لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان(1408هـ-1988م))، ج1،ة ص220.

(3)-أنظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص14. الماوردي: النكت والعيون، ج3، ص385. أبي حيان الأندلسي، تفسير النهر الماد من البحر المحيط، د.ط (دار الجنان، مؤسسة الكتاب الثقافية) ج2، ص781.

(4)-يس، الآيات: 20-23.

ويواصل المولى عزوجل حديثه عن الأمم الغابرة فيقول: «﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[1].

أشار أكثر المفسرين إلى أن الفلك المذكورة في الآية الكريمة هي سفينة نوح عليه السلام[2]، فيذكرنا الله تعالى كيف حملهم في البحر، وأنقذهم من الغرق في الطوفان، في حين أن الكافرين بما جاءهم من البينات قد غرقوا نتيجة كفرهم وعبادتهم الأصنام، مما يدل كذلك على أن البشرية منذ فجر التاريخ قد اتخذت معبودات عبدتها مما يوضح لنا فطرية الإيمان بالله تعالى.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى متحدثا عن الأمم الغابرة التي أهلكت بسبب كفرها وعنادها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[3].

والجبل والجبلة هم الخلق والأجيال الكثيرة، حيث تلفت الآية العقول إلى الآثار السيئة التي تركها الشيطان في من عصوا الله، واتبعوا مسيرته في الحياة الدنيا، وهم خلق كثير، فتبرز هذه الآية الكريمة انحراف أجيال عديدة في عبادتها لله تعالى[4].

وإذا وجدنا بعض المجتمعات قد انحرفت عن إيمانها بالله تعالى، فاتخذت له شركاء في الألوهية، فذلك ليس إلا تعبيرا خاطئا عن أصل الفطرة الموحدة، والمثال على ذلك أن كل المشركين يكون بين آلهتهم إله هو الأكبر فيهم، وتكون سائر الآلهة الأخرى وسائط إليه بشكل أو بآخر، فتلك علامة تشير إلى أن الأصل كان التوحيد، وما الشرك إلا إنحراف عنه، وهذا ما بينته مجموعة من العلماء بعد دراستهم لقبائل بدائية في إفريقيا وآسيا، وأن عقائدهم تقوم على عبادة موجود أسمى هو سيد العالم، وهذا الاعتقاد يوضح فطرية التوحيد في أصل التدين[5].

---

(1)-يس، الآيات: 41-43.

(2)-أنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج8، ج16، ص34.

(3)-يس، الآية: 62.

(4)-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج23، ص48-49.

(5)-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص36-37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما تدل علوم الأنثربولوجيا[1]، وعلوم الحفريات يوم بعد يوم أن المجتمعات الإنسانية منذ وجدت كانت تتخذ لها إلها تؤمن به معتقدا[2]، وهذا ما أشار إليه هنري برغسون (H.Bergson) (ت:1941) حين قال: « لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة، كما ذهب إليه المؤرخ الإغريقي بلوتارك: فقال: لقد وجدت في التاريخ مدن بدون حصون ومدن بدون مدارس، ومدن بلا قصور، ولكن لم توجد مدن بلا معابد»[3].

ونخلص من كل ما سبق أن الإيمان بالله فطرة مركوزة في نفس كل إنسان حتى الملحدين والمجادلين بالباطل.

المطلب الثاني: دلالة الأفاق

ذكر أئمة اللغة أن الأفاق جمع أفق[4]، وهي ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض ومن السماء نواحيها، وقد وجه القرآن الكريم في سورة يس أنظار الإنسان في أفاق الكون المختلفة، حيث أن المتأمل والمتمعن في كل زاوية من زوايا الكون إلا ويجد دلالة من دلالات وجود الله تعالى ووحدانيته.

ولهذا فسنتعرف في هذا المطلب لبعض الدلائل الموجودة في سورة يس.

أولا: دلالة الشمس والقمر

جاء في سورة يس ذكر الشمس والقمر كآيتان من آيات الله تعالى في هذا الكون الفسيح، فقال ﷻ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ

---

[1]-علوم الأنثربولوجيا: علم الإنسان وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته، وفي السلالات البشرية وخصائصها، ومميزاتها. أنظر: جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العرب الأساسي، ص112.

[2]-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص37.

[3]-يوسف القرضاوي: وجود الله، ص23.

[4]-الكفوي: الكليات، ص154.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾(1).

ولنبدأ الحديث عن الآية الأولى والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، والمعنى: أي وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب ألوهيته، الشمس التي تسير بقدرة الله في فلك، لا تتجاوزه ولا تتخطاه لزمن تستقر فيه(2).

وذكر ابن كثير أن قوله تعالى: "لمستقر لها" يحتمل قولان:

أحدهما: مستقرها المكاني الموجود تحت العرش، مما يلي الأرض مصداقا لقول النبي ﷺ: «**يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش**»(3).

والثاني: هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة حتى يبطل سيرها، وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته(4).

والمتأمل في حركة الشمس ونظامها العجيب، وجريانها بانتظام وحساب دقيق يدرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود.

ثم ننتقل بعدها إلى الآية الثانية، قال تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ ، والمعنى: أي وعلامة دالة على وحدانية الله وقدرته على البعث هو القمر، الذي قدر الله لسيره منازل، والمنازل جمع منزل، والمراد به هنا المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة، وهي ثمانية وعشرون منزلا، لأن القمر يظهر في الأفق في ثماني وعشرين ليلة، ويختفي ليلتين إذا كان الشهر ثلاثين يوما، ويختفي ليلة إذا كان الشهر تسع وعشرين يوما(5)، والعرجون القديم معناه: يصير القمر في أواخر سيره كأصل عنقود النخل

---

(1)-يس، الآيات: 38-40.

(2)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص14.

(3)-أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب تفسير رقم الحديث 297-298، ج6، ص221.

(4)-تفسير ابن كثير: تفسر القرآن الكريم، ج3، ص571.

(5)-أنظر: الزمخشري: الكشاف، ط2، (القاهرة مصر: مطبعة الاستقامة ، (1373هـ-1953م))ج4، ص12-13. عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، د.ط، (د.ب، دار العلم للملايين، د.ت)، ج23، ص26-27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذي يبس واعوج وانقطعت منه الأغصان التي عليها البلح، وهو أصفر اللون، ووجه الشبه بين الهلال والعرجون هو الاصفرار، وقلة العرض والانحناء في كل منهما[1].

والناظر إلى آية القمر نظرة تمعن وتبصر، كيف يبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره، ويتكامل شيئا فشيئا كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ بالنقصان حتى يعود إلى حالته الأولى ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معايشهم وعباداتهم ومناسكهم[2]، فتتميز به الأشهر والسنين، يدرك أن وراءه خالق أحكم صنعه.

وأشير في هذا المقام أن الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه دائما يقرن الشمس بالقمر فيعطف بينهما بواو العطف، وكذلك الأمر بالنسبة لليل والنهار، والأرض والسماء، وهذا هو السبب الذي جعلني تحدثت عن الشمس والقمر مع بعضهما البعض، وأيضا باقي الدلالات الأخرى التي تصب في هذا المطلب فيما بعد، بالإضافة إلى السبب الرئيسي وهو كونهما مقرونين في السورة.

قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[3]، والمعنى: أن من قدرته تعالى، ومن إحكام علمه، وصنعه أن أجرى هذه العوالم بعلمه، وسخرها بقدرته، وأقامها على نظام محكم بحيث لا تتعداه، فلا يصطدم بعضها ببعض، ولا يتغير موقعها الذي أقامه عليها خالقها، فالشمس مع سرعتها المذهلة التي تبلغ ألوف المرات بالنسبة للقمر، لا تدركه، فهي لها فلك تدور فيه، وللقمر مداره الخاص به كذلك[4].

وهذه الحقائق المذكورة في القرآن الكريم تم اكتشافها لاحقا من خلال المراقبة الفلكية في عصرنا هذا، ووفقا لخبراء الفلك فإن الشمس وكما هو مذكور في الآية الأولى، تجري بسرعة كبيرة تبلغ 270,000 كيلو متر في الساعة باتجاه نجم يسمى "فيغا" في الأجنبية، و"النسر الواقع" في العربية، والفعل تجري يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس،

---

[1]-عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص24.

[2]-ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، د.ط، (دار الكتب العلمية، د.ت) ج1، ص198.

[3]-يس، الآية: 40.

[4]-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، مج6، ج22، ص934.

ولكن يدل أيضا على عظم تلك الحركة، ومع الشمس تجري كل الكواكب والأقمار الصناعية التي تقع ضمن الجاذبية الشمسية[1].

وقد بين العلم الحديث أن الشمس تقع في محور المجموعة الشمسية وعمرها حوالي 5ملايير سنة[2]، وهي عبارة عن نجم كبير كثافته ربع كثافة الأرض تقريبا، وكتلته حوالي 335ألف مرة قدر كتلة الأرض، وشمسنا تابعة لمجرة إسمها درب التبانة، وهي تقع من هذه المجرة على بعد 25,000 سنة ضوئية من محور المجرة، وقدرت سرعة الشمس بـ 170 ميلا في الثانية، وليس هذا فحسب، فالشمس تتحرك محليا بالنسبة لما حولها من النجوم، وهي تسير بسرعة 19 كيلومترا في الثانية في اتجاه نقطة تقع في مكان ما[3].

وللشمس أهمية عظيمة في حياة الإنسان، إذ من دونها سيلف الظلام العالم، وسيتوقف نمو النباتات، ويفسد الهواء، وتبرد الأرض برودة لا تبقي للحياة أثرا، كما أنها تبعد عن الأرض في المتوسط حوالي 150 مليون كم، ولو ابتعدت قليلا نصف تلك المسافة لقلة الطاقة الواصلة إلى الأرض، و لتجمدت الكائنات الحية، ولو اقتربت نصف المسافة لأحرقت كل شيء[4].

أما القمر فهو تابع للأرض، وهو يدور في مدار حول الأرض[5]، كما تدور الأرض حول الشمس، وتستغرق دورته الكاملة حول الأرض 29يوم ونصف اليوم، أي ما يقرب من شهر، ويبلغ قطره ربع قطر الأرض تقريبا، وتبلغ مساحة سطحه 38كيلو متر مكعب، ومتوسط كثافته 3,36 حم/سم^3، وتقدر جاذبيته بسدس جاذبية الأرض[6].

---

(1)-أنظر: هارون يحي: المعجزات القرآنية، ط1، (مؤسسة الرسالة (1424هـ-2003م)) ص18، ومحمد أحمد الغمراوي: الإسلام في عصر العم، ط1، (مطبعة السعادة (1393هـ-1973م))ص229، وزغلول راغب النجار: نظرة الإسلام إلى الكون والحياة، مجلة القافلة، (السعودية: مطابع التريكي،(1421هـ-2001م)) مج49، ص18.

(2)-galli mard jeunesse, dictionnaire visuel pour tous (decouverts 1997) p :32.

(3)-عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص26.

(4)-عبد المجيد الزنداني: علم الإيمان، د.ط، (الجزائر: دار المنابع،2001)، ص119.

(5)-Quillet, Nouvel autodicatique, 1996, Vo7, P610.

(6)-زغلول رغب النجار: نظرة الإسلام إلى الكون والحياة، مج49، ص58.

وتجدر الإشارة إلى أن القمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري يتراوح نصف قطره بين 356 ألف أو 407 ألف كيلو متر، ولما كان القمر هو أقرب الأجرام السماوية إلينا، كانت دورته هي أدق وسائل التقويم الزمني للأرض[1].

وبعد عرض حقائق علم الفلك حول الشمس والقمر، نقول إن القرءان الكريم نزل في وقت لم تكن البشرية تمتلك التلسكوبات الموجودة في أيامنا هذه، ولا تقنيات المراقبة الحديثة التي تتيح لنا الفرصة لمراقبة ملايين الكيلومترات من الفضاء، وهذا ما يؤكد ربانية مصدر القرءان الكريم، فمن أين لمحمد ﷺ وهو الأمي ربيب الصحراء أن يعلم أن الشمس تجري وأنهما يعني الشمس والقمر يسيران بانتظام دقيق في أرجاء الكون من دون اختلال في سيرهما.

ثانيا: دلالة الليل والنهار

في نفس سياق الآيات السابقة، ينبهنا المولى تبارك وتعالى إلى آيتين أخريين من آياته، شهدتان على وجوده، وقدرته، ووحدانيته، آلا وهما الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[2].

وقال أيضا: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[3].

ولنبدأ الحديث كالمعتاد بأول هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[4]؛ والمعنى وعلامة للكافرين المعاندين دالة على قدرة الله ووحدانيته، بحيث أن خلق الكائنات على نظام عجيب بديع، فنرى الليل يقبل بعد أن ينكشف ويزول ضوء النهار، فإذا الناس في ظلام دامس بعد أن كانوا في ضوء ساطع[5].

---

(1)–هارون يحي: المعجزات القرآنية، ص80.

(2)–يس، الآية: 37.

(3)–يس، الآية: 40.

(4)–يس، الآية: 37.

(5)–محمد حمزة وآخرون: تفسير القرآن الكريم، د.ط، (مصر: دار المعارف المصرية، د.ت)، ج23، ص10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومشهد قدوم الليل، والنور يختفي، والظلمة تغشى، مشهد مكرور يراه الناس في كل بقعة من الأرض في خلال أربع وعشرين ساعة (فيما عدا بعض الأماكن التي يدوم فيها النهار كما يدوم فيها الليل أسابيع وأشهر قرب القطبين في الشمال والجنوب، وهو مع تكرار أمامنا يدعو إلى التأمل والتفكير، ويصور لنا سيد قطب هذا المشهد فيقول: «والتعبير القرآني عن هذه الظاهرة تعبير فريد، فهو يصور النهار ملتبسا بالليل، ثم ينزع الله النهار من الليل، فإذا هم مظلمون، ولعلنا نذكر شيئا من سر هذا التعبير الفريد، حين نتصور الأمر على حقيقته، فالأرض الكروية في دورتها حول نفسها في مواجهة الشمس، تمر كل نقطة منها بالشمس، فإذا هذه النقطة نهار، حتى إذا دارت الأرض وانزوت تلك النقطة عن الشمس، انسلخ منها النهار، ولفها الظلام، فهو تعبير مصور للحقيقة الكونية أدق تصوير»[1].

وظاهرة تعاقب الليل والنهار، من أروع الظواهر التي تحدث أمام أعيننا في كل يوم، كيف يحدث هذا التعاقب العجيب؟ ومن محدثه؟ فيستحيل للبشر بحال من الأحوال أن يحدثوا هذا التعاقب الفريد من نوعه، ولذلك فهو يعد بحق من أدل الدلائل على قدرة وقوة الخالق الواحد، الفرد الصمد.

وننتقل بعدها إلى الآية الثانية، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]؛ أي بمعنى لا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلا، ولا العكس صحيح، بحيث أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل من الليل والنهار وقته، فيظهر لنا في هذا الكون نظاما عجيبا لا يمكن أن يكون من صنع بشر[3] -كما ألمحنا إلى ذلك فيما سبق-.

كيف يجعل الله الليل سكنا ولباسا يغشى العالم، فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى منازلها، وتستجم وتستريح فيه النفوس من كد السعي والتعب، وكيف يجيء بعدها الصباح، فيهزم تلك الظلمة، ويكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون[4].

---

(1)-في ظلال القرآن، مج7، ص24.

(2)-يس، الآية: 40.

(3)-الطبري: الجامع البيان، ج23، ص5-6.

(4)-ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ج1، ص203.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالليل والنهار من أهم الدلائل الموجودة في سنن الآفاق الدالتين على قدرة الله تعالى.

ويرى الشيخ محمد متولي الشعراوي في هذه الآية (لا الليل يسبق النهار)، أن الله يرد على اعتقاد غير صحيح، كان سائدا عند العرب في وقت نزول القرآن الكريم، وهو أن الليل يسبق النهار، فنفى كتاب الله ذلك، بل هما موجودان معا على سطح هذه الأرض، وسيبقيان إلى أن يرث الله الأرض وما عليها[1].

وقد بيّن العلم الحديث أن اختلاف الليل والنهار هو من تأثير دوران الأرض حول نفسها، وهذا الدوران من الآيات الباهرة التي تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، ذلك لما يتراءى للناظر من الدقة في دورانها، بحيث لا تتخطى الثانية من الثواني.

فمن مظاهر قدرة الله ﷻ إيجاد الضد من الضد، حيث أن الناظر إلى آثار قدرته، وكيف يجعل نور الفجر يشق ظلام الليل الدامس، ثم ينتشر رويدا رويدا، حتى تشرق الشمس بضيائها، فتكشف كل مستور[2].

وإليك مقولة أحد علماء الوراثة، قال: «السماوات تشهد وإحكامها يدل على بديع صنعته»، ويقول كذلك: «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض الصدفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر[3].

ومن هنا نخلص، أن الليل والنهار من أروع الدلائل على وجود الله ووحدانيته، فالمتأمل في تعاقبهما، وكيف أنهما لا يتغيران ويسيران بشكل منتظم يدرك عظمة الخالق.

ثالثا: دلالة السماوات والأرض

لما كان منهج القرآن الكريم الذي سلكه لبناء العقيدة الإسلامية، أخذ الشاهد على وجود الله ووحدانيته من مألوفات البشر، وحوادثهم المشاهدة المتكررة ليؤكد العقيدة، ويثبت

---

(1)-الأدلة المادية على وجود الله، د.ط، (الجزائر: دار الشهاب، د.ت)، ص76، 87-88.

(2)-عبد العزيز أحمد رضوان: من مظاهر العظمة في قدرة الله، مجلة الأزهر، القاهرة، س73، (1421هـ-2000م)، ج2، ص201.

(3)-مجموعة من العلماء: الله يتجلى في عصر العلم، ط4، (القاهرة: الجمعية المصرية، 1986)، ص66.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قواعدها، لفتنا هذه المرة إلى آية السماء والأرض، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[1].

والمعنى: أو ليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر حجمهما، وعظم شأنهما، بقادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، بلى هو القادر على أعظم من ذلك، فهو الخلاق المبدع في كل شيء[2].

وتجدر الإشارة أنّه ورد الحديث عن خلق السماوات والأرض في القرآن الكريم في حوالي 42 موضع، كما أنه جاء ذكر الأرض وحدها في أربعمائة وستين (460) موضع، حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[3].

أي ومن الآيات الباهرة والعلامات الظاهرة الدالة على كمال قدرة الله ووحدانيته، هذه الآية الكريمة، وهي الأرض اليابسة الهامدة التي لا نبات فيها ولا زرع أحييناها بالمطر[4].

ويعتبر المفسرون هذه الآية من أهم الدلائل على قدرته تعالى على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة[5]، فالله ﷻ يقول للمشركين أن هذه الآية تدل على قدرتنا على البعث والنشور، فهذه الأرض الجدباء التي نحييها بالماء، ونخرج منها أنواع الحبوب ليقتات به الناس، فتنشأ فيها البساتين المتنوعة من النخيل وكروم العنب، وتجري فيها العيون، فهلا يشكر الإنسان رازقه على ما تفضل به عليه من هذه النعم[6].

---

(1)-يس، الآية: 81.

(2)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج23، ص25.

(3)-يس، الآيتان: 33-34.

(4)-عبد الكريم الخطيب: تفسر القرآني للقرآن، ج23، ص929

(5)-انظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسط للقرآن، د.ط، (د.ب: مطبعة السعادة، (1406هـ-1985م))، ج22، ص32. عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، ص11. وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، (بيروت: دار الفكر المعاصر، سوريا: دار الفكر، (1411هـ-1985م))، ص13.

(6)-عفيف عبد الفتاح طباره: روح تفسير القرآن الكريم، ج23، ص23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمتأمل في هذه الأرض، نظرة تمعن، يطرح عدة تساؤلات منها: من أوجدها؟ وكيف خلقت؟ ولماذا خلقت؟ فسيدرك حتما أن وراءها موجدا أوجدها من العدم، فلا يملك الإنسان بعدها إلا أن يحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى. وقد أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكر الأرض في كتابه، ودعا عباده إلى النظر إليها، والتفكر في خلقها وكذلك الأمر بالنسبة للسماوات، فقلّ ما نجد سورة في كتاب الله الحفيظ إلا وفيها ذكر للسماوات، إما خبر عن عظمها أو سعتها، وإما إقساما بها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما إرشاد للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها(1).

ومن هنا فالسماوات والأرض من أهم الآيات الباهرة التي تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته، فهذه الأرض التي نعيش عليها، ويشاركنا فيها الملايين من الناس بمختلف أجناسهم، ونحن في الحقيقة لا نبلغ جزئية صغيرة من حقيقتها، ومعلوماتنا حولها تظل قليلة جدا ومحصورة في إطار علمنا المحدود، هذه الأرض تابع من توابع الشمس التي تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها، وهذه الشمس واحدة من مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا، وقد عدّا الفلكيون المجرات بالملايين، وهم في انتظار المزيد، ولكن الله يخلق هذا وذلك بلا كلفة ولا جهد(2).

وهذا ما عناه الفلكيون حينما قالوا: إن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه، هذه كلها تسبح في الفك الغامض دون أن يحدث تصادم مع نجم أو كوكب آخر، وهنا تظهر الحكمة والتقدير في الخلق(3).

ولو فرضنا نقص حجم الأرض إلى مستوى حجم القمر، فإنها لن تمسك مقدار كبير من الماء، وكثرة الماء أمر ضروري لاستمرار الاعتدال الموسمي عليها، وكذلك سيرتفع الغلاف الهوائي الأرضي لها في الفضاء، ثم يتلاشى ويتبع ذلك من تتبع درجة حرارة الأرض أقصى معدلها، ثم تنخفض إلى أدنى درجاتها.

---

(1)-ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ج1، ص196-197.

(2)-سيد قطب: في ظلال القرآن، مج7، ص38.

(3)-يوسف القرضاوي: وجود الله، د.ط، (قسنطينة: دار البعث، (1407هـ-1987م))، ص50.

وعلى العكس من ذلك، لو فرضنا كذلك أن قطر الأرض ضعف قطرها الحالي، لتضاعفت جاذبيتها الحالية، وحينئذ ينكمش غلافها الجوي، بالإضافة إلى أنه لو كانت قشرتها أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام من سمكها الحالي، لما وجد الأكسجين الذي بدونه تستحيل الحياة[1]. ومن هنا، نجد أن التوازن الموجود في الأرض عجيب، إذ لولاه لما استطاع الإنسان والحيوان وسائر النبات العيش على سطح هذه الأرض.

من خلال ما سبق نستنتج أن السماوات والأرض من أهم الآيات الدالة على عظيم خلقه سبحانه.

المطلب الثالث: دلائل الأنفس

لما وجه القرآن الكريم في سورة يس أنظار الناس إلى آفاق الكون المختلفة: شمسا وقمرا، ليلا ونهارا، أرضا وسماءا، في العديد من الآيات القرآنية- كما بينا ذلك في المطلب السابق-، لما تحمله من دلالات على وجود الله سبحانه وتعالى، فقد وجه كذلك الأنظار إلى النفس الإنسانية لتحصيل ذلك الإيمان، قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[2].

وبناءا على ذلك فسنتعرض في هذا المطلب إلى الدلالات الموجودة في النفس الإنسانية من خلال سورة يس كالآتي:

أولا: دلالة خلق الإنسان

ذكر الله سبحانه وتعالى كلمة خلق ومشتقاتها في كتابه الكريم مائتين وثلاثا وخمسين مرة في مواضع وآيات عديدة[3]، ووردت كلمة خلق في سورة يس تسعة مرات في آيات

---

[1]-علي بن محمد بن ناصر الفقيهي: مسالك القرآن في الاستدلال على وجود الله، مجلة الجامعة الإسلامية، ع53، س14، (1407هـ-1984م)، ص67.

[2]-الذاريات، الآية: 21.

[3]-انظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د.ط، (د.ب: دار ومطابع الشعب، د.ت)، مادة خلق، ص242-244. محمد إبراهيم: عرفت الله ، د.ط، (القاهرة، مصر: الدار الصرية اللبنانية، د.ت)ص 17.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

متنوعة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[2].

فجاء الحديث عن أطوار خلق الإنسان مجملا دون تفصيل، حيث اقتصر الحديث فيها عن المرحلة الأولى التي يمر بها الإنسان، وهي مرحلة النطفة اكتفاءا بها على التفصيل الذي ذكره في بعض الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[3].والرؤية في هذه الآية لا يقصد منها مجرد البصر، بل يراد منها النظر المقترن بالاعتبار والتدبر، فكأنه يقصد من ذلك أن ينظر الإنسان إلى أصل خلقته، ويتمعن في مبدأ وجوده ليدرك عظمة الخالق، وكيف أوجده من شيء حقير[4]، فإذا به إنسان قوي، سوي التكوين، له عقل يفكر به، وسمع وبصر، وبعد أن يكبر ويشتد عوده يصبح شديد الخصومة والجدال بالباطل، روي أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «قال الله تعالى: بني آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا»[5].

وقد نزلت هذه الآية في العاص بن وائل عندما جاء إلى النبي ﷺ بعظم حائل ففته، وسئل الرسول ﷺ «أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ فأجابه: بأن نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار»[6].

ولهذا ذهب معظم المفسرين إلى أن الآية نزلت في كل من أنكر قدرة الله سبحانه وتعالى في إعادة إحياء الموتى، وبعثهم يوم القيامة –وهو ما سنتعرض له لاحقا في الفصل الثالث الخاص بالإيمان باليوم الآخر–.

ويعد خلق الإنسان من أعظم الآيات الدالة على وجود الباري سبحانه وتعالى، وعلى عموم قدرته، وعلمه، وكمال حكمته، ورحمته وإحسانه، وكان خلقه وإيجاده من أقرب

---

(1)–يس، الآية: 36.

(2)–يس، الآية:71.

(3)–يس، الآية: 77.

(4)–انظر: ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج5، ص632. عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص47–48.

(5)–أخرجه أحمد: ج4، ص210.

(6)–أخرجه الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب: تفسير يس، ج2، ص429.

الأشياء إلى الإنسان نفسه، فقد دعا الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة إلى التفكر والنظر بعين البصيرة في مبدأ خلقه[1].

وقد انطلق أبو الحسن الأشعري[2] سابقا في الاستدلال على وجود الباري تعالى بإحكام الصنع والتدبير من هذا المبدأ المذكور آنفا، وهو مبدأ خلق الإنسان، فقال: «إن الإنسان إذا أبصر ذاته، وجدها قد انتقلت من طور إلى طور، ويعلم الإنسان أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنه لا يقدر في حال كمال قوته، وتمام عقله، أن يوجد لنفسه سمعا ولا بصرا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، ويدل ذلك على أنه في حال نقصانه وضعفه غير قادر على أن يكمل نفسه، وفي حال هرمه وكبره عاجز عن أن يرد حاله إلى الشباب، فدلّ ذلك على أن ناقلا نقله من حال إلى حال»، ثم يدلل الأشعري على كلامه بدليل واقعي، حسي وعقلي، فيقول: «فكما أنه لا يجوز أن يتحول القطن فيصبح غزلا مفتولا، ولا ثوبا منسوجا بغير غازل، ولا ناسج، فكذلك حال الإنسان»[3].

ومن هنا جعلت قدرة الله تعالى هذه النطفة أو جزي منها بشرا مخالفا ومباينا كل المباينة لتلك النطفة المهينة، التي لو مررت بها ساعة من الزمن فسدت وأنتنت[4].

ونشير إلى أنه في الوقت الذي كان فيه علماء الأجنة في أوروبا وحتى نهاية القرن التاسع عشر، منقسمين بين من يقول إن الإنسان يكون مخلوقا تاما في الحوين المنوي في صورة قزم، وبين من يعتقدون بأن الإنسان يخلق خلقا تاما في بيضة المرأة، فإن كتاب الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-علي بن محمد بن ناصر الفقيهي: مسالك القرآن في الاستدلال على وجود الله، ص74.

(2)-أبو الحسن الأشعري: هو العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة صاحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولد سنة 260هـ، وألف كتب كثيرة منها: الإبانة في أصول الديانة، مقالات الإسلاميين. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ت: إبراهيم الرعيف، ط1، (بيروت: د.ن، (1403هـ-1983م))، ص85. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مج11، ص346-347.

(3)-أحمد محمود صبحي: في علم الكلام "الأشاعرة"، د.ط، (بيروت: دار النهضة، د.ت)، ج2، ص32.

(4)-أبو حامد الغزالي: التفكير في خلق الله، ت: ماهر النجد، ط1، (دمشق: سوريا، دار الفكر، بيروت: لبنان، دار الفكر المعاصر، (1416هـ-1995م))، ص83-84.

منذ أكثر من 1400 عام قد حسمها، مبينا مسؤولية كل من الحوين المنوي والبويضة في عملية التخليق(1).

وقد أثبت علم الأجنة في عصرنا الحالي أن خلق الإنسان يمر بعدة مراحل تطابق ما جاء في القرآن الكريم، حتى أن العلم الحديث عجز عن استعمال ألفاظ مغايرة لألفاظ القرآن الكريم لدقتها، فمرحلة النطفة المذكورة في الآية هي أول المراحل، حيث تجتمع نطفة الرجل (الحيوان المنوي) مع نطفة المرأة (البويضة)، وتتكون منهما النطفة الأمشاج، ثم تتبعها المراحل اللاحقة حتى يتكون جسم الإنسان في بطن أمه، وبعدها يخرج إلى الحياة(2).

وإذا تأمل الإنسان جسمه يجده من أعقد الأجهزة والآلات على سطح الأرض، فنحن نرى هذا الجسم، ونسمع ونتنفس ونمشي، ونركض، ونتذوق طعم اللذائذ، ويملك هذا الجسم نظاما وتخطيطا دقيقا، وكلما نزلنا إلى التفصيلات الدقيقة لهذا النظام، ولهذا التخطيط، قابلتنا حقائق مدهشة، وعلى الرغم من الاختلاف الذي يبدو للوهلة الأولى بين الأقسام والأجزاء المختلفة للجسم، فإنها تتكون جميعا من اللبنة نفسها، ألا وهي الخلية.

ويتركب كل شيء في جسمنا من الخلايا التي يقارب حجم كل واحدة منها جزءا من ألف جزء من المليمتر المكعب، فمن مجموعة معينة من هذه الخلايا تتكون عظامنا، ومن مجموعة أخرى تتكون أعصابنا، وكبدنا، والبنية الداخلية لمعدتنا، وطبقات عدسات عيوننا، وتملك هذه الخلايا الخواص، والصفات الضرورية من ناحية الشكل والحجم والعدد لأي عضو تقوم بتشكيله هذه الخلايا في أي قسم من أقسام الجسم.

والسؤال المطروح: متى وكيف ظهرت هذه الخلايا التي تكلفت بالقيام بكل هذه المهمات والوظائف المختلفة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستسوقنا إلى ساحة مملوءة بالمعجزات في ذرة منها، إن خلايا جسمنا البالغ عددها 100 ترايليون خلية قد نشأت وتكاثرت من خلية واحدة فقط، وهي الخلية الناتجة عن اتحاد خلية البويضة مع خلية النطفة(3).

(1)-زكريا هيمي: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط1، (د.ب: مكتبة مدبولي، د.ت)، ص32.

(2)-هدى عبد الكريم مرعي: الأدلة على صدق النبوة المحمدية، ورد الشبهات عنها، د.ط، (عمان: الأردن، د.ن، (1411هـ-1991م))، ص192.

(3)-هارون يحيى: خلق الإنسان (موسوعة الإعجاز العلمي W.W.W. 552. Net) (27 مارس 2004، 11:38سا).

ومما لا ريب فيه، أن مثل هذا التطور والتحول والنمو لم يكن نتيجة مراحل عشوائية، ولا حصيلة مصادفات عمياء، بل كان أثرا لعملية خلق واعية في غاية الروعة[1].

أليس كل هذا آية من آيات الله في الإنسان؟ ألا يدل هذا المخلوق الضعيف على عظمة خلقه وخالقه؟ ومن هنا فخلق الإنسان من نطفة آية من آيات الله تدل على أنه الصانع القادر، العليم الخبير.

ثانيا: دلالة التسخير

وتعتمد هذه الدلالة على ما نشاهده في هذا الكون من تسخير كل أجزائه لخدمة الإنسان، وموافقة كل عوالمه لوجوده، وهذا التسخير وتلك الموافقة يدلان دلالة قاطعة على وجود فاعل، قادر مريد، وعرفه عبد المجيد النجار فقال: «ونقصد به أن الكون بني على القدرة الإلهية على قوانين كمية وكيفية تناسب تماما الكيان الإنساني في وجوده ابتداء، فكأنما هو صنع لاستقبال الإنسان، وخلق لغاية وجوده»[2].

ويحفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تتحدث عن تسخير الكون للإنسان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[3]. وتتجلى آيات تسخير الكون للإنسان في السورة موضوع الدراسة فيما يأتي:

1-آيات تسخير عالم الأفلاك للإنسان:

قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

---

[1]-عبد الكريم نوفان عبيدات: الدلالة العقلية في القرآن الكريم ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، ط1، (الأردن: دار النفائس، (1420هـ-2000م))، ص282.

[2]-قيمة الإنسان، ط1، (الرباط: المملكة المغربية، دار الزيتونة للنشر، (1417هـ-1996م))، ص75.

[3]-الرعد، الآية: 2.

[4]-يس، الآيات: 37-40.

وتتحدث هذه الآيات الكريمة عن تسخير الشمس والقمر للإنسان لينتفع بـهما، فمن قدرة الله سبحانه وتعالى، ومن إحكام علمه، أن أجرى هذه العوالم بعلمه، وسخرها بقدرته، وأقامها على نظام محكم، وأجراها على مدى لا تتعداه، فلا يصطدم بعضها ببعض[1].

ومن معاني تسخير كل من الشمس والقمر، ضبط حركة كل منهما لما فيه صلاح الكون واستقامة الحياة على الأرض، والشمس تتكون أساسا من غازي الإيدروجين والهيليوم[2]، ومن عدد من العناصر الأخرى، ولو زادت حرارة الشمس قليلا لفسدت الحياة على سطح هذه الأرض. كما أن كل الظواهر التي تحدث على الأرض ومن حولها تعتمد على الطاقة القادمة إلينا من الشمس: فتصريف الرياح وإرسال السحب وإنزال المطر ظواهر تحركها الشمس بإرادة الله تعالى.

وعن طريق القمر يستطيع الإنسان إدراك الزمن وتحديد الأوقات والتاريخ والأحداث، بالإضافة إلى أنه يعكس ما قيمته 7,3% من أشعة الشمس الساقطة عليه، وعلى ذلك فقد سخره الله تعالى مصدرا للنور في ليل الأرض[3].

هذا قليل من كثير من صور التسخير التي أعدتها الإرادة الإلهية بحكمة بالغة، لكي يكون كل من الشمس والقمر لبنات صالحة في بناء الكون، وفي انتظام حركة الحياة على الأرض، وكل ذلك ينبئ عن دقة في الصنع، وإحكام في النظام.

2-آيات تسخير عالم الحيوان للإنسان:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ. وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[4].

والأنعام جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم، والمعنى أن هذه الأنعام التي يملكها هؤلاء المشركون، لو لا أن ذللها الله تعالى لهم، وجعلها في خدمتهم لما قدروا عليها، فهم

---

[1]-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، مج23، ص934.

[2]-Gallimard Jeunesse : Op.Cit, P32.

[3]-علاقة الإنسان بالكون: W.W.W. Islamic médecine (15 جانفي2005) (15:00سا).

[4]-يس، الآيات: 71-73.

يركبونها، ويحملون عليها أمتعتهم، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها ويتخذون من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، أثاثا ومتاعا أفلا يشكرون[1]، كما أن من مظاهر تسخيرها أيضا تيسير سبل التنقل للإنسان من مكان لآخر، يقول ابن قيم الجوزية: «فترى البعير على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلا، منقادا، ولو أرسل عليه لسواه بالأرض، فسل الإنسان من الذي ذلله وسخره وقاده على قوته لبشر ضعيف من أضعف المخلوقات»[2]. ثم يذكر تسخير أشعار الحيوانات للإنسان فيقول كذلك: «ثم تأمل كيف كسيت أجسام الحيوان البهيمي هذه الكسوة من الشعر والوبر، والصوف، وكسيت الطيور الريش، ولها سبيل إلى اتخاذ الملابس واصطناع الكسوة وآلات الحرب»[3].

هذه بعض مظاهر تسخير الأنعام للإنسان.

3-آيات تسخير عالم البحار للإنسان

قال تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾[4]؛ أي وعلامة ودليل واضح للناس جميعا على قدرتنا، أننا حملنا -بفضلنا ورحمتنا- آباؤهم الأقدمين الذين آمنوا بنوح عليه السلام في السفينة التي أمرناه بصنعها، والتي كانت مليئة ومشحونة، بما ينتفعون به في حياتهم.

فالآيتان الكرمتان تصوران مظاهر قدرة الله ورحمته بعباده أكمل تصوير، وذلك لأن السفن التي تجري في البحر، مهما عظمت تصير عندما تشتد أمواجه في حالة شديدة من الاضطراب، ويغشى الراكبين فيها من الهول والفزع ما يغشاهم، وفي تلك الظروف العصيبة لا نجاة لم مما هم فيه إلا عن طريق الله تعالى ورحمته بهم[5].

ومن هنا فجميع المخلوقات والكائنات في هذا الكون على اختلاف أنواعها وأحكامها، ونواميسها، تجمع بينها مهمة التسخير للإنسان من قبل الله تعالى، وكلمة التسخير من أقوى

---

[1]-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج23، ص68.

[2]-مفتاح دار السعادة، ج1، ص234.

[3]-المرجع نفسه، ج1، ص238.

[4]-يس، الآيتان: 41-42.

[5]-محمد سيد طنطاوي: تفسير الوسيط، مج12، ص42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعابير في الدلالة على التذليل للخدمة المستمرة الدائبة، ودلالة التسخير هي التي أسماها ابن رشد [1] بـ"دليل العناية"، حيث عده من أهم وأجلى الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، وهو الذي نبه عليه القرآن الكريم واعتمده الصحابة -رضوان الله عليهم-[2]، فقد خلق الله ﷻ كل الموجودات الكونية، وصرف شؤونها بحيث تستجيب لنزوعه إلى حفظ حياته، وإلى إنجاز خلافته في الأرض، وإلى قدرته في التعامل مع الطبيعة تعاملا إيجابيا فعالا[3].

ثالثا: دلالة الأزواج

ذكرت الأزواج في سورة يس كسنة من سنن الله في خلقه، والأزواج في اللغة جمع زوج، وهما الذكر والأنثى، كما يقال لكل ما يقرن بآخر مضادا لـه زوج[4]، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

قال ابن كثير: «أي سبحان الذي خلق الأزواج من زروع وثمار ونبات، فجعلهم ذكرا وأنثى ومما لا يعلمون»[6]. وتكشف هذه الآية الكريمة عن سنة ربانية جارية في هذا الكون الفسيح، وهي أن كل شيء في هذا الوجود قائم على نظام الزوجية، سواء في الإنسان، أو في الحيوان، أو في النبات، وحتى في الجماد، ويمكن تقسيم الآية إلى ثلاثة أصناف:

1-مما تنبت الأرض: أي مما تخرج الأرض من النخيل والأشجار والزروع والثمار، فهي عبارة عن ذكور وأنوثة.

---

(1)-ابن رشد: فيلسوف وطبيب عربي أندلسي، ولد سنة (520هـ-1126م)، يعتبر في رأي كثير من الدارسين أعظم الفلاسفة العرب، عرف بشروحه لأرسطو، حاول التوفيق بين الحكمة والشريعة، توفي سنة(595هـ-1198م)، من أشهر آثاره: فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من اتصال. انظر: مصطفى غالب: ابن رشد، دط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، (1405هـ-1985م))، ص23-24. منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص24.

(2)-رشدي محمد عليان ،قحطان عبد الرحمان الدوري: أصول الدين الإسلامي، ط4، (العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (1411هـ-1990م)) ص 85 .

(3)-محمد المبارك: نظام الإسلام، "العقيدة والعبادة"، د.ط، (د.ب: دار الفكر(1980م))ص 56.

(4)-ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص1885.

(5)-يس، الآية: 36.

(6)-تفسير القرآن الكريم، ج5، ص213.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-ومن أنفسهم: يعني من الذكور والإناث في المجتمع الإنساني والحيواني[1].

3-ومما لا يعلمون: من خلق نظام الأزواج في أمور أخرى لم يطلعهم الله تعالى عليها[2]، ونشير في هذا الصنف أن العلماء توصلوا مؤخرا في أبحاثهم العلمية إلى أن الزوجية منبثة في كل شيء من هذا الوجود، وليست مقصورة على الجنس البشري والحيواني والنباتي، بل هي موجودة حتى في الجمادات[3]. وبالتالي فما من شيء في هذا الوجود إلا ويحمل إشارة الذكورة والأنوثة، إما متصلة أو منفصلة، وهذا إنما يدل على عظمة القرآن الكريم وإعجازه الواضح في كل زمان ومكان، فقد سبق العلم بمئات السنين، وهذا يدل على ربانية المصدر وهو من عند الله سبحانه وتعالى[4].

ويستدل سيد قطب بنظام الزوجية على وحدة الخالق فيقول: «إن هذه التسبيحة تنطلق في أوانها وفي موضعها، وترتسم معها حقيقة ضخمة من حقائق هذا الوجود، وهي حقيقة وحدة الخلق، وحدة القاعدة والتكوين، فقد خلق الله الأحياء أزواجا، البنات فيها كالإنسان، ومثل ذلك غيرهما، وإن هذه الوحدة لتشي بوحدة اليد المبدعة التي توجد قاعدة التكوين»[5].

كما قد اكتشف العلماء أن الذرة الصغيرة تحتوي قلبا صغيرا يسمى النواة الذرية يحيط بها عدد من الجسيمات الخفيفة جدا، تسمى الإلكترونات، بل إن هناك ما هو أبعد من هذا، فقد استنتج رجال الطبيعة من تجارب أجروها في معاملهم، وأدركوا أن النواة نفسها مؤلفة من أجزاء أصغر، فوجدوا وحدتي أساسيتين من وحدات البناء في نواة ذرة الهيدروجين، وقد أطلق عليها علماء الطبيعة اسما خاصا هو البروتون، ويقابله وحدة البناء الثانية التي تسمى النيوتون[6].

---

(1)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص14.

(2)-عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص24.

(3)-هدى عبد الكريم مرعي: الأدلة على صدق النبوة المحمدية، ص203.

(4)-ابن الشيخ الحسين سفيان: المعجزة القرآنية، ط1، (الجزائر: دار الشهاب، (1413هـ-1987م))، ص208.

(5)-في ظلال القرآن، مج7، ص23-24.

(6)-ابن الشيخ الحسين سفيان: المرجع السابق، ص208.

يقول سيد قطب في ذلك «وقد أصبح معلوما أن الذرة أصغر ما عرف من قبل من أجزاء المادة مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي، سالب وموجب يتزاوجان ويتحدان، كذلك شوهدت ألوف من الثنائية النجمية تتألف من نجمين مرتبطين يشد بعضهما بعض، ويدوران في مدار واحد»(1).

وهكذا نجد أن مفهوم الأزواج قد شمل كل شيء في هذا الوجود، كما نلاحظ أن التعبير القرآني في الآية السالفة كان دقيقا جدا "ومما لا يعلمون"، حيث وجدناها لها دلالات أوسع(2)، بكثير مما هو في ذات الآية الكريمة، وهذا يدل على إعجاز كتاب الله تعالى في كل عصر من الأعصار، وفي كل زمن من الأزمان، والذي يدل بدوره على ربانية المصدر، وأنه من عند المولى تبارك وتعالى.

فقد نزه الله ﷻ نفسه في هذه الآية على كل نقص وعن وجود شريك له، فكل شيء في هذا الوجود مبني على نظام الزوجية إلا هو، فهو واحد، فرد، صمد، جبار.

---

(1)-في ظلال القرآن، مج7، ص24.

(2)-هارون يحي: المعجزات القرآنية، ص37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالله في الفرد والمجتمع

الإيمان بالله تعالى ليس مجرد اعتقاد نظري ينتهي عند حد التصديق العقلي المجرد، بل يترتب عليه سلوك عملي سوي، تنعكس آثاره في الحياة العملية للإنسان، بالتوفيق والرشاد، فتعمرها بالخير والسعادة، ولهذا فللإيمان بالله تعالى آثار كثيرة، وثمرات عديدة عمدنا في هذا المبحث إلى ذكر بعضها.

المطلب الأول: الطمأنينة والأمن

يحقق الإيمان بالله تعالى للإنسان سكينة النفس وطمأنينة القلب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[1]. وقال كذلك: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

فسكينة النفس ورضاها وطمأنينة القلب، تشكل ركنا مهما من أركان السعادة للإنسان، فهي الينبوع الأول للسعادة، ومصدر هذه السكينة والطمأنينة هو الإيمان بالله تعالى، إيمانا صادقا عميقا لا يكدره شك، ولا يفسده نفاق، فالمؤمن الصادق متى استقر في اعتقاده أن الكون يملكه قوي جبار، يدبر أمره بتقدير مستمر لا يختل نظامه، وفق إرادة خيرة لعباده، فإنه سيسلم قياده في كل كبيرة وصغيرة من أموره لمن يعتبره هو الفاعل الأوحد في هذه الحياة، فتطمئن نفسه، ويرتاح باله بإزاء كل ما يحدث في هذا الكون من أحداث كالفياضنات والبراكين، والزلازل وغيرها من الحوادث الطبيعية[3] الأخرى، فيصل إلى الأمن النفسي الذي هو من ثمرات الطمأنينة والسكينة، بل هو نوع منها، إذ انه يطمئن حتى فيما يخص مستقبله، فلا سعادة دون هذا الأمن النفسي[4].

وقد شهد التاريخ الحافل، والواقع الماثل أن أكثر الناس قلقا، واضطرابا وشعورا

---

(1)-الفتح، الآية: 4.

(2)-الرعد، الآية: 28.

(3)-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص170.

(4)-أحمد عبده عوض: العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما، ط1، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، (1422هـ-2002م)) ص190.

بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين، حيث أن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفقات، فهم لا يدركون لحياتهم معنى ولا يعرفون لها هدفا، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة النفس، أو اطمئنان قلب[1]، وهذا ما ظهر في أوروبا في منتصف القرن العشرين حيث انتشرت فلسفة القلق والإحباط التي نظر لها سارتر (J.P.Salter) وألبيركامو (Albert Cams) وغيرهم، فهي تعبير عما أصاب الناس من المآسي إبان حربين عالميتين مدمرتين، كانتا بوجه من الوجوه ثمارا مرة لفلسفة الإلحاد[2].

فهؤلاء الذين ظهرت بينهم هذه الفلسفات يعني القلق والعبث، نحو الوجودية، هم الذين تنتشر بينهم أكبر نسب للانتحار والجنون والهوس، ولهذا فقد تطورت عندهم كرد فعل على ذلك، مدارس علم النفس بأنواعها وأشكالها، ورغم ذلك فهذه النسب ما زالت في ارتفاع مذهل حتى يومنا هذا.

ويعد الإيمان بالله تعالى الأساس الأول لعلاج جميع الأمراض النفسية، واستقامة الفرد وطهارته ظاهرا وباطنا، وبناء شخصية المؤمن التي يتمتع بالصحة النفسية المتمسكة بالقيم الروحية والأخلاق السامية، ولذلك فالإيمان هو العلاج الناجع الدواء الشافي لأسقامنا[3].

ولقد أكدت بعض الدراسات التربوية والأبحاث النفسية أن الإيمان بالله تعالى، وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية والانحرافات الخلقية التي تنشأ من عوامل القلق والتوتر العصبي، يقول وليام جيمس William James «إن أعظم علاج للقلق هو الإيمان[4].

ولهذا فالإيمان بالله تعالى وما ينتج عنه من شعور بالأمن والطمأنينة في حياة الإنسان، هو شرط ضروري للمؤمن كي يقدم على العمل والإنتاج والتعمير في الأرض، حيث أن القدرات الانجازية تتضاعف فعاليتها ويزكو إنتاجها في مناخ الأمن النفسي، وعلى هذا الأساس نجد الأمم تعمل على توفير الأمن النفسي للناس، لما في ذلك من نمو عمراني.

---

(1)-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، د.ط، (عمان: دار الفرقان، 1998م)، ص25.

(2)-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص172.

(3)-حسن عبد الغني حسان: القلق النفسي أسبابه وعلاجه في هدي الإسلام، حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، ع15، جامعة الأزهر، (1422هـ-2001م)، ج1، ص330-331.

(4)-المقال نفسه، ص336.

المطلب الثاني: العزة والكرامة

من شأن الإيمان بالله تعالى أن ينشئ في نفس الإنسان عزة النفس، فهو يعلم علم اليقين أن الله تعالى يتفرد بالقوة والعظمة والعزة، وغيرها من صفات الكمال، ولما كان الله ﷻ هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الوجود، ولا نافع، ولا ضار، ولا محيي، ولا مميت، ولا رازق، ولا مانع إلا هو، وكل مخلوق مجرد من أي صفة من هذه الصفات.

فهذا العلم اليقيني يجعله لا يتضرع لأحد إلا لله، وينزع من نفسه الخوف من سواه، فلا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق، ولا يخاف إلا من كبرياء الله وعظمته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. ولما كان المؤمن يستمد قوته من الله، فإنه مستيقن دائما بأنه الأعلى، والاستعلاء في حقيقته ليس الغرور والكبرياء، إنما هو الاعتزاز بالله، وصيانة النفس من كل مذلة لغير الله تعالى.

ومنها يشعر بالكرامة التي بها يعلو ويسود، قال ﷻ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[2]، وعنها يتولد له أنه في ولاية البر الرحيم، وهي المعونة والنصرة، والرعاية، والهداية، قال تعالى في ذلك: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[3]. حيث يشعر المؤمن أنه في رعاية الله سبحانه وتعالى الذي يحرسه دائما ويمده بنصره الذي لا يقهر[4].

ولنا أن نتصور مبلغ العزة والقوة اللذين يشيعهما الإيمان بالله في النفس الإنسانية من خلال قصة صاحب القرية في سورة يس، عندما جاء من أطراف المدينة، وقد امتلأ قلبه إيمانا بالله تعالى، فاعتز به، فوجد في نفسه من القوة ما تحدى به قومه عندما أرادوا قتل رسل الله، وكيف واجههم بقوله: ﴿لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِي﴾[5]. وفي ذات الوقت،

---

(1) -المنافقون، الآية: 8.

(2) -النساء، الآية: 141.

(3) -محمد، الآية: 11.

(4) -محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص23-24.

(5) -يس، الآيتان: 22-23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهذه القوة والعزة التي يستشعرها المؤمن في قرارة نفسه لا تؤول به إلى التكبر على العباد، بل على العكس من ذلك تماما، فالمؤمن كما يكون مستعليا على أسباب الاستبداد، وأهل الطغيان، فهو يكون موطنا لعامة الناس، متواضعا لهم، وهكذا نجد الإيمان بالله تعالى يقيم النفس على معادلة دقيقة من استشعار بالعزة والقوة من ناحية، واستشعار الضعف بإزاء قوة الجبار العليم من ناحية أخرى، وذلك عندما تراوده حالات التكبر، فيكون منه التواضع واللين في معاملة الناس[1]، قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾[2]. فهذه الآية الكريمة تبين لنا أخلاق الرسول ﷺ، وأخلاق أصحابه وأتباعه -رضوان الله عليهم-، كيف يكونون أشداء في معاملتهم مع الكفار، وكيف يكونون رحماء فيما بينهم، ويدفع الشعور بالعزة والكرامة إلى خير عملي عميم مهما حمله في كثير من الأحيان من تبعات جسام، حيث تدفع هذه القوة النفسية إلى المبادرة والفعل والإنجاز، وهذا ما نجده في الإنجاز الحضاري عند المسلمين في وقت وجيز جدا من ظهور الإسلام، حيث أن إيمانهم بالله تعالى حررهم من كل مظاهر العبودية، فصنعوا المعجزات الحضرية في كل الأصعدة، قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[3]، فهو تذكير من العزيز العليم للمسلمين لينطلقوا في إنجاز مهمتهم البنائية التعميرية بأن ايمانهم بالله سبحانه وتعالى من شأنه أن يدفعهم لإتمام إنجازهم الحضاري[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص174.

[2]-الفتح، الآية: 29.

[3]-آل عمران: الآية139.

[4]-عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص175.

المطلب الثالث: الصدق والأمانة

يدفع الإيمان بالله تعالى المؤمن إلى التحلي بخلق أصيل ألا وهو الصدق، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]، حيث يعدّ التزام الصدق من أهم ملامح المؤمن ومعالمه الواضحة.

فما دام المؤمن قد آمن بالله وعرف سر الوجود، فلا بد أن يتحرى بهذا الخلق النبيل في قوله، وأن يتخذه منهاجا عمليا في حياته، لأنه يعلم حق العلم أن الكذب يناقض الإيمان ويفسد العمل، لقوله ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[2].

فالمؤمن الصادق في قوله وعمله، يكسب رضوان الله تعالى، لأنه صار في نهجه وينتهي به بعدها إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، فينمي مواهب الخير في ذاته، ويسمو به إلى أعلى، وأرفع الدرجات.

وقد صور لنا نبينا الكريم ﷺ ذلك فقال: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديق، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا»[3].

وهكذا فالمؤمن يصدق مع ربه كما يصدق مع نفسه ومع الناس، فيصبح ظاهره كباطنه في الصفاء والطهر والاستقامة، وبالإضافة إلى هذا الخلق النبيل، هناك خلق آخر ينبع من عقيدة المؤمن وهو الأمانة، إذ هي من لوازم الإيمان بالله تعالى، والتي تدل على صدقه، وشرف غايته، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : «كلكم راع في أهله، ومسؤول عن رعيته،

---

[1]-التوبة، الآية: 119.

[2]-أخرجه أحمد، ج5، ص656.

[3]-أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: قول الله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وما ينهى عن الكذب)، حيث رقم: 18، ج8، ص45-46. وأخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم: 2607، ج4، ص2012-2013. (متفق عليه).

ثانيا: الرد على الشبهة

إن المتتبع لسورة يس يجد فيها نوعان من الدلائل على صدق رسالة محمد ﷺ، ويمكن تقسيمها إلى دلائل تاريخية ودلائل علمية، فأما.

1-الدلائل التاريخية:

يقول القاضي عياض[1] شارحا هذا النوع من الدلائل: «وهي ما أنبأنا من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القد من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي ﷺ على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعلم، وقد علموا أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب»[2].

ويظهر هذا النوع من الدلائل في قصة تلك القرية التي أرسل الله تعالى إليها ثلاثة رسل، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[3]، وقد أجمع المفسرون كما ذكرنا سابقا أن هذه القرية هي (أنطاكية)، ولكنهم اختلفوا في حقيقة هؤلاء الرسل، فذهب أكثرهم إلى أنهم حواريي المسيح، ورسله الذين بعثهم لينشروا الدعوة في الناس.

وهذا التأويل للقرية وللرسل لا يقوم له شاهد من القرآن الكريم، ولا تدل عليه إشارة من إشاراته القريبة أو البعيدة، إنما هو من واردات أهل الكتاب وأخبارهم[4].

---

(1)-القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، الإمام العلامة، يكنى أبا الفضل، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل (496-544هـ)، وقيل أنه مات مسموما، له تصانيف مفيدة منها: كتاب كمال العلم في صحيح مسلم، كتاب الشفاء، وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة. انظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص: ص-هـ-و. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص212.

(2)-انظر: الشفاء، ص13-14. محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الثقاة إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ت: إبراهيم إبراهيم هلال، د.ط، (القاهرة: مصر، مكتبة النهضة المصرية، (1406هـ-1986م))، ص69.

(3)-يس، الآيتان: 13-14.

(4)-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج22، ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: تحقيق الاستقامة للمؤمن

تربي العلاقة القائمة والدائمة بين الإنسان وربه في المؤمن حساسية مرهفة ووازعا قويا عن الشر، حيث يفتح الإيمان بالله وجودا ووحدانية قلب المؤمن من أول ما يفتحه على علم الله المحيط بكل تصرف يقوم به، وكل فكرة وكل نية، بل وحتى كل هاجسة وشعور مصداقا لقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]، إذ يجعل هذا التيقظ الدائم لعلم الله تعالى المؤمن يشعر بمراقبة الله المستمرة، وإذا قرنا إلى هذا الشعور ذلك اليقين بوجود يوم البعث، يحاسب فيه المرء على كل كبيرة وصغيرة صدرت عنه في الحياة الدنيا، فإنه ينتج عن هذا كله الإحساس بالمسؤولية أمام الله تعالى.

فإذا ملأ الفؤاد بهذا الشعور تستقيم النفس، وكذا المجتمع، ويغدو نظيفا من الجرائم، لأن المؤمن بتلك اليقظة الدائمة لله تعالى تضبط في سلوكه، وتحفظه من الانحراف عن الطريق السوي، وتدفعه دوما إلى التوبة، والإنابة إلى الحق، وإن غفل مرة من المرات، فهي وقاية من الاعوجاج والانحراف عن الطريق المستقيم، وعلاج في ذات الوقت له، فيصبح بذلك المؤمن مستقيم وسوي في تعامله مع الله تعالى، ومخلص له، لأن الإيمان بالله تعالى لقنه أن الله لا يقبل إلا الخالص من الأعمال والأقوال، فيصبح المؤمن مستقيم في تعامله مع الله تعالى، لا يؤذي أحد من البشر، ولا يغشهم، ولا يضرهم أبدا، ومستقيم كذلك في كل عمل يقوم به، بل وسوي أيضا حتى في طريقة تفكيره ونواياه، فلا ينوي إلا الخير[2].

ومن هنا فسلوك المؤمن بالله وتصرفاته في الحياة، كلها مظهر من مظاهر عقيدته، حيث أنه إذا صلحت هذه العقيدة صلح السلوك واستقام، وإذا فسدت فسد واعوج، ومن هنا كانت عقيدة الإيمان بالله تعالى ضرورية، لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته.

ورسوخ عقيدة الإيمان بالله تعالى في النفس الإنسانية يسمو بها عن الماديات الوضيعة، ويوجهها دائما وجهة الخير والنبل والنزاهة، والشرف، فإذا سيطر الإيمان بالله

---

(1)-ق، الآية: 16.

(2)-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص27-28

تعالى على الإنسان أثمر الفضائل الأخلاقية الكبرى من الشجاعة والكرامة والإيثار والتضحية[1].

المطلب الخامس: تحرر الفكر والجماعة

1-تحرر الفكر

يحرر الإيمان بالله تعالى فكر الإنسان من استبداد الشهوات والأهواء، لأن التوحيد يقتضي الإذعان الكامل لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، مخالفة لما تدعو إليه تلك الأهواء والشهوات النفسية من تحقيق للذة مادية، أو كسب مال، أو نصرة لقريب، فيتبين لنا طريق الحق، فيعود الأمر والنهي إلا لله ﷻ، وبالتالي لا يكون لها سلطان يوجه الفكر[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ. وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾[3]، فتبين لنا هذه الآية الكريمة، حال الناس الذين كانوا في الدنيا يتبعون شهواتهم، وميولاتهم النفسية، وقد وصفهم الله سبحانه في عدة مواضع من كتابه العزيز بالأنعام: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4].

وأهواء النفوس متى استبدت بالإنسان تصبح هي المسيرة له في كامل تصرفاته[5]، وقد تحدث محمد عبده[6] في رسالة التوحيد عن حال أولئك الذين سيطرت عليهم أهوائهم النفسية فاتبعها، وتركوا أوامر ونواهي الله ﷻ فقال: «فإذا همّ من أنفسهم هام بالإصغاء دافعوه بما أتوا من الاختيار في النظر، وانصرفوا عنه، وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذر أن

[1]-السيد سابق: إسلامنا، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الفكر، (1393هـ-1978م))، ص26.

[2]-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص187.

[3]-الواقعة، الآيتان: 45-46.

[4]-الفرقان، الآية: 44.

[5]-عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص40.

[6]-محمد عبده: ولد في قرية محلة النصر سنة (1266هـ-1849م)، وتعلم بها في طنطا، ثم التحق بالأزهر عام 1865م لمدة اثني عاشرة عاما، حصل على شهادة العالمية، وعين مدرسا في دار العلوم، توفي سنة (1323هـ-1905م)، أشهر مؤلفاته: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية. انظر: أحمد أمين: زعماء الإصلاح، ص220-337. جمال الدين الأفغاني: محمد عبده، العروة الوثقى، ط1، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، (1389هـ-1970م))، ص31-33.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يخالط الدليل أذهانهم، فيلزمهم العقيدة، وتتبعها الشريعة، فيحرموا لذة ما ذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في النفس والقلوب»[1].

كما يحرر الإيمان بالله تعالى عقل الإنسان كذلك من موروثات الخرفات والأساطير التي تحلل معطيات الواقع[2] بتفسيرات ليست لها صلة بالواقع المعاش، وفي ذلك يقول سيد قطب: «جاء الإسلام وفي العالم ركام هائل من العقائد و الفلسفات و الأساطير و الأفكار و الأوهام و الشعائرو التقاليد و الأحوال يختلط فيها الحق بالباطل و الصحيح بالزائف و الدين بالخرافة و الفلسفة بالأسطورة»[3].

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الثمار الحضارية للمسلمين من العلوم والمنجزات المادية والفنية، إنما هي ثمار حرية الفكر التي جاءت من الإيمان بالله الواحد الأحد[4].

2-تحرر الجماعة

لما كان الإيمان بالله تعالى يحرر الفرد في الفكر والإرادة، فإنه يحرر الجماعة كذلك من كل القيود التي تعطل الإرادة الجماعية والطاقات المشتركة عن تحقيق غاياتها السامية، التي نشأت من أجلها، ومن هذه القيود والعراقيل التي تعطل تحرر الجماعة المؤمنة عن تحقيق أهدافها أمران: هما الموروثات السابقة والاستبداد بكل أنواعه.

فأما الموروثات السابقة، فهي تلك الموروثات التي تترسب عبر التاريخ شيئا فشيء، ثم تتخذ في النفوس معنى القداسة التي يمليها الولاء للأسلاف، فيمنع الناس ذلك من تطوير حياتهم، بما تقتضيه المعطيات الجديدة التي تفرزها الأوضاع، حيث يجعل الإيمان بالله تعالى الجماعة تتلقى أسس حياتها من الله تعالى وحده، وبانتهاج أساليب ناجعة في ممارسة الحياة الجماعية بما يفضي إلى تربيتها، ويزخر كتاب الله بالكثير من الآيات القرآنية التي توضح تمسك الأمم السابقة بموروثات الأباء والأجداد، وكيف ظلها هذا التمسك عن معرفة الحق

---

(1)-رسالة التوحيد، ص104.

(2)-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص187.

(3)-خصائص التصور الإسلامي، ط3، (دب: دن، 1967)، ص24.

(4)-عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص187.

ظلالا جماعيا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1].

أما الاستبداد، فهو تسلط فرد أو فئة على مجموع الأمة في تدبير شؤونها العامة، حيث نجدها مسلوبة الإرادة في ذلك التدبير، ولا تستطيع تقرير شيء من شؤون حياتها العامة، وإنما هي مقودة بإرادة ذلك الفرد أو تلك الفئة.

فالإيمان بالله تعالى يقتضي أن تكون أمر الجماعة المؤمنة عائدا إلى الله تعالى وحده في التشريع والتنفيذ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2]. فالآية الكريمة تبين أن من مقتضيات الإيمان بالله ﷻ أن يكون أمر المؤمنين في شؤون حياتهم شورى بينهم، ومن هنا فالإيمان يحرر أهله من الاستبداد والتبعية بكل أشكالها وصنوفها، فشريعة الله هي الحاكمة والسائدة، فيصبح كل الناس خاضعين لها في سائر أحوالهم[3].

والمسلمين في وقتنا المعاصر، لما تخلوا عن حاكمية الشريعة الإسلامية في العديد من شؤون حياتهم العامة، فإن المتسلطين سنوا قوانين وضعية تصلح لهم كأداة للاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي، لم تشهد له الأمة الإسلامية نظيرا ومثيلا من قبل، حيث يستعبد القوي الضعيف، ويقهر الغالب المغلوب ويسخره في مصالحه[4].

---

[1]- الزخرف، الآية: 23.

[2]-الشورى، الآية: 38.

[3]-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص205.

[4]-عمر سلميان الأشقر: أثر الإيمان في تحرير الإنسان، د.ط، (عمان: دار النفائس، 1991)، ص6.

الفصل الثاني: الإيمان بالرسل والرسالة

تمهيد

المبحث الأول: الرسل صفاتهم ووظائفهم

المبحث الثاني: الرسالة: الإعتراضات والرد عليها

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالرسل والرسالة في الفرد والمجتمع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

الإيمان بالرسالة ركن من أركان العقيدة الإسلامية، وأصل من أصولها، حيث لا يستقيم دين لأحد، ولا يقبل منه عمل، إلا إذا آمن برسالة الرسل جميعا، وبأنهم حملة دين واحد، ومرسلهم واحد. فمن أنكر رسالة رسول ثبت رسالته بالأدلة القاطعة، فهو كافر، لأن تكذيب أحدهم يعني تكذيبهم جميعا.

وفي سورة يس حديث عن الرسالة بشكل عام، ورسالة محمد ﷺ بشكل خاص، حيث تحدثنا السورة عن بعض صفات الرسل -عليهم السلام- ووظائفهم المكلفون بها، كما تتناول من جهة أخرى مجموعة من الاعتراضات والشبهات الواردة حول رسالتهم -عليهم السلام- وترد عليها.

ولذلك فقد تناولت في هذا الفصل حاجة الناس لرسالة الرسل عليهم السلام، وأهم صفاتهم ووظائفهم، كما حاولت الرد على بعض الشبهات الواردة حول الرسالة -عامة وخاصة- وختمت الفصل بالحديث عن أثر الإيمان بالرسالة في الفرد والمجتمع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الرسل: صفاتهم ووظائفهم

لما اقتضت حكمة الباري تعالى أن يرسل رسله بالهدى، ودين الحق لإقامة العدل بين عباده، وتبصيرا لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم، وحقوق أنفسهم، فإننا نتساءل عن وجوه حاجة الناس في كل زمان ومكان لرسالتهم عليهم السلام؟ ونتساءل كذلك عن أهم صفاتهم ووظائفهم التي كلفهم بها؟

هذا ما سنحاول معرفته من خلال هذا المبحث:

المطلب الأول: حاجة الناس إلى رسالة الرسل

أولا: خروج الأمم والشعوب في مختلف العصور عن فترة الإسلام

فطر الله تعالى الإنسان على معرفته، وعلى الإقبال على عبادته، وتقديسه وحده، ولو ترك الإنسان وشأنه دون تأثير البيئات المنحرفة لنشأ مؤمنا بوجود خالق لهذا الوجود، ومعترفا بحاجته إليه، ولكننا إذا تتبعنا تاريخ البشرية منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا لألفينا الإنسان قد انحرف عن تلك الفطرة، وهذا الانحراف يبرز بجلاء ووضوح حاجة الناس والأمم إلى رسالات الرسل عليهم السلام الذين يبعدونهم عن تلك الضلالات كالكفر بالله وعبادة غيره[1].

ويخبرنا المولى عز وجل عن هذه الحاجة في سورة يس في العديد من الآيات القرآنية فيقول: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[4]،

---

[1]-أنظر: رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري: أصول الدين، ص202-203، وعبد الرزاق عفيف: الحكمة من إرسال الرسل، ط2، (السعودية: دار الصميعي، 1420هـ)، ص15.

[2]-يس، الآية: 6.

[3]-يس، الآيتان:13-14.

[4]-يس، الآيتان: 30-31.

وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1].

ولنبدأ الحديث عن أول هذه الآيات التي تبين حاجة الناس إلى رسل يهدونهم إلى صراط المستقيم، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[2]، يقصد تبارك وتعالى بالقوم في هذه الآية هم قوم مكة، والمعنى أن أهل مكة لم يبعث فيهم رسول قبله -قبل محمد ﷺ -أما رسالة إسماعيل ﷺ فهي رسالة كانت مقصورة على أهله كما يقول تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[3]، وإذا كان لهذه الرسالة أثر فقد اندثر، وعفى عليه الزمن وسط ظلام الجاهلية وظلالها، وفي قوله: "فهم غافلون" إشارة أخرى إلى ما كان عليه القوم من جهل وغفلة، فكانوا بهذا في أشد الحاجة إلى من يعالج هذا الداء[4].

فقوم الرسول ﷺ، كانوا بحاجة ماسة إلى من يخرجهم من الغفلة والجهل التي كانوا يعيشونها، ويعالج لهم هذا المرض، فكان هذا هو عين الدور العظيم الذي قام به رسولنا الكريم.

أما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[5]، فيقول الله تعالى لرسوله الكريم، أذكر للكافرين من قومك مثلا لعاقبة الكفر الوخيمة تلك القرية إذ جاءها المرسلون تدعوا أهلها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، فأرسل لهم رسولين معا فكذبوهما، فقواهما الله برسول ثالث، فقال هؤلاء الرسل الثلاثة لقومهم: «إننا مرسلون إليكم من عند ربكم لهدايتكم[6]، وقيل عن القرية أنها أنطاكية، وقيل عن الرسل أنهم رسل

---

(1)-يس، الآيات: 60-62.

(2)-يس، الآية:6.

(3)-مريم، الآية: 55.

(4)-عبد الكريم الخطيب: تفسير القرآني للقرآن، مج6، ج23، ص907.

(5)-يس، الآيتان: 13-14.

(6)-عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عيسى عليه السلام، وقد اختلف فيهم كثيرا وما يهمنا من هذه القصة القرآنية هي العبرة المستخلصة منها، وهو منهج القرآن الكريم الذي لا يهتم بسرد أسماء الأشخاص والمدن، وتحديد الزمن، بقدر ما يهتم بالعبرة والعظة المستوحاة من القصة.

فنجد أن تلك القرية لما كانت تعيش في ضلال كبير نتيجة عبادتها الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، أرسل الله تعالى رسله الثلاثة لإصلاح أحوالها، وهداية أهلها إلى عبادته، وهنا تظهر لنا حاجة أهل القرية لهداية الرسل -عليهم السلام- فإن الغاية العظمة التي أوجد الله الخلق لأجلها هي عبادته وتوحيده، وفعل محابه واجتناب مساخطه، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف حقيقة العبادة من فعل ما يحبه الله ويرضاه، وترك ما يكرهه الله ويأباه، إلا عن طريق الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه فضلهم على العالمين[1].

وفي موضع آخر من السورة يقول عز وجل: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [2]، والمعنى وأسفاه على العباد المعاندين الذين يكذبون الرسل وما أشد ندامتهم حين يلقون جزاء كفرهم وعنادهم، فإنهم أحقاء أن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون، فما يأتيهم من رسول إلا استهزؤا به، وهذه عادة المجرمين في كل زمان ومكان، فإنهم لا يتعظون بمن أهل الله من قبلهم من المكذبين للرسل[3].

وفي هاتين الآيتين إشارة أخرى لأمم ضالة أخرى كذبت بالله الواحد الأحد، بتكذيبهم لرسلهم، وفيها دلالة كذلك على كثرة الأقوام المكذبة، والضالة عن الطريق والنهج السوي، والتي هي بحاجة ملحة إلى رسل يهدونهم إلى عبادة الله الواحد القهار، ولكنهم رغم حاجتهم تلك فإنهم معرضون مكذبون، فكان نتيجة ذلك أن أهلكهم الله سبحانه وتعالى.

وعن غواية الشيطان للإنسان يقول تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا

---

(1)-ابن تيمية: كتاب النبوات، ت: عبد العزيز بن صالح القوبان، ط1، (د.ب: مكتبة أضواء السلف(1420هـ-2000م))، ج1، ص22-23.

(2)-يس، الآيتان: 30-31.

(3)-محمود محمد حمزة وآخرون: تفسير القرآن الكريم، ج23، ص5.

الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1].

يقول المراغي[2] في تفسيره لهذه الآيات: «أي ألم أوصكم يا بني آدم بما نصبت من الأدلة، ومنحت من العقول، وبعثت من الرسل، وأنزلت من الكتب، بيانا للطريق الموصل إلى النجاة أن تتركوا طاعة الشيطان فيما يوسوس به إليكم من معصيتي ومخالفة أمري، فقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعة وإفرادي بالألوهية، أفلم يكن لكم عقل فترتدعوا عن مثل ما كانوا عليه كيلا يحيق بكم من العذاب ما حاق بهم»[3].

فالله سبحانه وتعالى لم يكتف بحجج العقول لإرشاد العباد، وإنما أرسل الرسل والكتب لهدايتهم، وهنا تظهر لنا حاجة الناس إلى رسل يهدونهم إلى عبادة الله الواحد الأحد .

ومن هنا نجد أن هداية الله تعالى للناس كانت على مر العصور على لسان رسله الذين أرسلهم مبشرين ومنذرين، وكان هؤلاء الرسل يقومون بمهمات جليلة في خدمة أقوامهم وإصلاح أحوالهم في شتى الميادين، وهذا ما يبدو لنا واضحا وجليا إذا ما تتبعنا قصص الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- في القرآن الكريم.

فالبشر في حاجة ماسة في كل العصور إلى هداية السماء وبعثة الرسل، لأن تجاربهم مهما بلغت فلا يمكن أن تهديهم إلى سواء السبيل، ولا أن تدلهم على منهاج الحياة المستقيم، فالنظرة البشرية مهما اتسعت فهي قاصرة، ومهما علمت فهي جاهلة، تدرك من الحقيقة طرفا، ويغيب عنها أطراف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-يس، الآيات: 60-61-62.

(2)-المراغي: هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة 1905، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة سنة 1952م، له كتب منها: الحسبة في الإسلام، الوجيز في أصول الفقه، تفسير المراغي. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ، ص258.

(3)-تفسير المراغي، ج23، ص25-26.

ثانيا: معرفة الحقائق المتعلقة بعالم الآخرة

عالم الآخرة من أهم الدلالات على حاجة الناس إلى بعثة الرسل -عليهم السلام- وعالم أحوال الآخرة من المعارف التي لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليها من تفصيل اللذات والآلام، وطرق المحاسبة على الأعمال من بعث بعد الموت، والحساب والجزاء على الأعمال، ومن أهم أطواره الواردة في سورة يس مايأتي:

1-النفخ في الصور

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ. قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]. والنفخ في الصور المذكور في هذه الآية الكريمة هو النفخة الثانية في البوق التي يبعث بها الناس أحياء من قبورهم، والأجداث هي القبور، فالناس يخرجون من قبورهم للحساب، ونيل الثواب أو العقاب، فالكافرون يتنادون بالهلاك على أنفسهم، ويسأل بعضهم بعض من أيقظهم من نومهم، فيأتي الجواب على لسان الملائكة المؤمنين هذا يوم البعث الذي وعد الرحمان به عباده وصدق الرسل فيما أخبروا به[2]، يقول محمد الغزالي: «بيد أن رسالات السماء وحدها هي التي كشفت الغطاء عن كل ما قد يثار حول البعث من ريب، وقدمت للمرء كشفا مفصلا بالجزئيات التي سوف يلقاها عقب انتهاء أيامه في هذه الدار»[3].

ومن هنا، فرسالات الرسل -عليهم السلام- هي التي كشفت اللثام عن عالم الآخرة، بما فيه مرحلة النفخ في الصور، إذ لا يمكن لإنسان بحال من الأحوال أن يعرف عن طريق عقله النفخ وكيفيته، وأحوال الناس في ذلك اليوم.

2-كتاب الأعمال وشهادة الجوارح

بالنسبة لكتاب الأعمال، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ

---

(1)-يس، الآيتان: 51-52.

(2)-وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج23، ص29.

(3)-عقيدة المسلم، ص185.

مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1]. يخبرنا تعالى أنه يحيي الموت يوم القيامة، ودور الملائكة -عليهم السلام- يتمثل في كتابة أعمالهم في الدنيا من خير أو شر بأمر ربها، وكل شيء من أعمال العباد وغيرها كائنا ما كان أثبته الله وحفظه في كتاب موضح فيه كل شيء.

وهذا أيضا مما لا تدركه عقول الناس، والناس لما يعرفون أنهم سيحاسبون على كل كبيرة وصغيرة صدرت عنهم في الحياة الدنيا، سيحسنون في سلوكهم، خوفا من شر ذلك اليوم، وهنا تظهر الحكمة من إعلامهم بكتاب الأعمال.

أما شهادة الجوارح، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]؛ والمعنى أنه في ذلك اليوم يطبع الله على أفواه الكافرين فلا يستطيعون الكلام، وتتكلم أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي، وتشهد أرجلهم بما كانوا يفعلونه في دنياهم، فتقر جوارحهم في الآخرة بكل أعمالهم[3].

والسؤال المطروح، هل بإمكان واحد من الناس أن يعرف أن كل عضو من أعضائه سيشهد عليه في يوم ما سلبا أو إيجابا؟ بالتأكيد سيكون الجواب لا، فمن عرفهم بذلك، أليسوا الرسل -عليهم السلام-، وهنا تبدو الحكمة الربانية من إرسالهم في الحياة الدنيا.

ثالثا: الجنة والنار

حدثنا المولى تبارك وتعالى عن الجنة في سورة يس فقال: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[4].

والمعنى، أن أصحاب الجنة في ذلك اليوم مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعيم عن التفكير بأهل النار، يتفكهون ويتلذذون بالحور عين، وبالأكل والشرب، والسماع للأوتار[5]،

---

(1)-يس، الآية: 12.

(2)-يس، الآية: 65.

(3)-عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص37.

(4)-يس، الآيات: 55-57.

(5)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فمهمة الرسل -عليهم السلام- هي تبليغ الناس عن نعيم الآخرة لما في ذلك من تحفيز لهم على عمل الخير في الحياة الدنيا للفوز برضوان الله تعالى في الآخرة.

وقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن الجنة ونعيمها المقيم، بهدف تحبيب الناس فيها، فيكفوا بذلك عن المعاصي، ويوثقوا صلتهم بالله تبارك وتعالى، ويحسنوا من سلوكهم.

وهنا تبدو حاجة البشر في الدنيا إلى رسالة الرسل -عليهم السلام-، إذ كيف يتسنى لهم معرفة دار الخلد، وما فيه من نعيم ومتاع لا ينتهي ولا يزول أبدا، فالعقول قاصرة عن الوصول إلى ذلك مهما بلغت، والرسل -عليهم السلام- هم الذين يوضحون ذلك.

ثم يحدثنا الله ﷻ عن النار فيقول: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1]، فيقول المولى سبحانه موجها كلامه للناس في الآخرة، هذه جهنم التي وعدكم بها الرسل وكذبتهم، فذوقوا حرارتها، وقاسوا أنواع عذابها اليوم بسبب كفركم في الحياة الدنيا[2].

وإليك ما قال محمد الغزالي عند حديثه عن دور الرسل في التعريف باليوم الآخر: «عرفنا عن طريق الرسل كذلك الإيمان باليوم الآخر، وما يسبقه وما يلحقه من حساب وثواب وعقاب، وعرفنا ذلك على جهة اليقين الجازم، ولو لا بلاغ الوحي لعجز العقل عن فهم النهاية المرتقبة لعالمنا الزاخر»[3].

وتبرز حاجة البشر إلى رسالة الرسل -عليهم السلام- في مسألة النار، أنهم لما يعرّفون بها وبما فيها من عذاب وخطورة في الآخرة، سيحسنون في سلوكاتهم وأخلاقهم، ويتبعون أوامر الله ونواهيه.

ومن كل ما سبق، نستنتج أن عقول الناس وحكمة الحكماء وعلومهم تظل آراء بشرية ناقصة، وظنون لا تبلغ من عالم اليوم الآخر إلا أنه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة

(1)-يس، الآيتان: 63-64.

(2)-أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، ج4، ص388.

(3)-عقيدة المسلم، ص185-186.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والخلاف، ولا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمهما يقبلها، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته[1]، وهنا يبرز لنا دور وحي الرسول في إيقاظ وإرشاد الناس إلى سواء السبيل.

يقول ابن قيم موضحا ضرورة رسالة الرسل -عليهم السلام- «فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها»[2].

وعلى هذا الأساس فقد اختار الله رسله إلى عباده في أعلى درجات الخلق الفاضل، والعقل الكامل، والسيرة النظيفة منذ الطفولة، وقد استطاع أولئك الرسل الكرام عبر تاريخ البشرية أن ينقلوا الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله تعالى، ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة.

وهنا نطرح سؤال آخر وهو هل البشرية اليوم يمكنها أن تستغني عن تعاليم الرسل -عليهم السلام-؟

ويجيبنا عمر سليمان الأشقر عن ذلك فيقول: «يكفي أن ننظر في حال تلك الدول التي نسميها متقدمة متحضرة كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا، والصين لنعلم مدى الشقاء الذي يغشاها، نحن لا ننكر أنهم بلغوا في التقدم المادي شأوا بعيدا، ولكنهم في الجانب الآخر الذي جاء الرسل وجاءت تعاليمهم لإصلاحه، انحدروا انحدارا بعيدا، لا ينكر أحد أن الهموم والأوجاع النفسية والعقد النفسية اليوم سمة العالم المتحضر، والإنسان في العالم المتحضر اليوم فقدَ إنسانيته، ولذلك فإن الشباب هناك يتمردون على القيم والأخلاق والأوضاع والقوانين، آخذوا يرفضون حياتهم التي يعيشونها، ولقد تحول عالم الغرب إلى عالم تنخر الجريمة عظامه، وتقوده الانحرافات والضياع»[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري: أصول الدين الإسلامي، ص203.

(2)-زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، (مصر: مطبعة محمد علي صبح (1353هـ-1934م))، ج1، ص20.

(3)-الرسل والرسالات، د.ط، (البليدة: الجزائر، قصر الكتاب، د.ت)، ص30.

ومن هنا، نعلم حاجة العباد فوق كل الحاجات إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا عن طريقهم.

المطلب الثاني: صفات الرسل -عليهم السلام-

لما كان العقل البشري لا يدرك كل معاني الخير والشر، والتمييز بين النافع والضار، ومعرفة الصالح من الفاسد، فقد اقتضت حكمة البارئ تعالى أن يرسل رسلا حباهم بجملة من الصفات الحميدة لقيادة الناس وهدايتهم. ويمكننا تقسيم هذه الصفات إلى قسمين: صفات خلقية وصفات خلقية.

أولا: الصفات الخُلقية

1-صفة التبليغ

وهي إيصال الأحكام التي أمر الرسل بتبليغها إلى الناس، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وقد وردت هذه الصفة الكريمة التي يمتاز بها رسل الله سبحانه وتعالى في سورة يس متمثلة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[1]؛ والمعنى أن الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليهم، فإن أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فأنتم الخاسرون[2].

فصفة التبليغ عن الله تعالى هي إيصال أوامره سبحانه إلى الناس عامة، وهم أحرار في اختيار الطريق الذي سيسلكوه فيما بعد، سواء اختاروا الإذعان لأوامره أم النكران الكلي لها.

أما قوله تعالى: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[3].

---

[1]-يس، الآيتان: 16-17.

[2]-عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان، ج4، ص8.

[3]-يس، الآية: 30.

فإن هذه الآية الكريمة بيان على حسرة العباد يوم القيامة عند تكذيبهم للرسل -عليهم السلام، واستهزائهم بهم في الحياة الدنيا، وهذا ما يدل دلالة واضحة على أنهم بلغوا عن الله تعالى[1].

2-صفة الفطنة:

وتتمثل هذه الصفة في حدة العقل والذكاء وسداد الرأي، فكل رسول تجب له هذه الصفة بحيث لا يجوز له بوجه من الوجوه أن يكون مغفلا أو بليدا أو أبله[2]، وهذه الصفة نلمسها في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3]، إلى آخر القصة القرآنية.

فهذه القرية، قد جاءها رسل مبعوثين من عند الله، وقد دعوا أصحابها إلى الإيمان، فلم يلقوا منهم إلا الصد والقول القبيح، فأمدهما الله برسول ثالث، يقويهما ويشد أزرهما، فلم يزدهم ذلك إلا عنادا وإصرارا على الكفر والضلال، وينتهي موقف أصحاب القرية مع الرسل إلى طريق مسدود، ثم لا يلبث أن يجيء واحد من أهل القرية فيكسر هذا الموقف، ويأخذ موقفه مع الرسل داعيا إلى الله[4].

فالدلالة على صفة الفطنة التي يمتاز بها رسل الله تتضح في القصة من خلال جدالهم مع أهل القرية، وإبطالهم للشبه التي أثاروها، ومن جهة أخرى، فالناس مأمورون بالإقتداء، والاهتداء بهديهم سواء في الأقوال أم الأفعال، ونحن نعلم أن المقتدى به لا يكون بليدا.

وهكذا فقد دلت هذه الآيات من القصة القرآنية في السورة موضوع الدراسة على صفة الفطنة في رسل الله -عليهم السلام-.

---

(1)-عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص21.

(2)-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص403.

(3)-يس، الآيات: 13-17.

(4)-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مج6، ج23، ص914-915.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-صفة الصدق:

كل الرسل صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وهم صادقون في أقوالهم وعهودهم، وفي كل تصرفاتهم مع الناس، وتظهر هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]، والمعنى ونفخ في الصور، فإذا الأموات يخرجون من قبورهم ويسرعون في المشي، ويقولون «يا هلاكنا من الذي أخرجنا منها؟ »فإذا نطقوا بذلك أجابتهم الملائكة أو المؤمنون إن هذا ما وعدكم به الله من البعث بعد الموت والحساب والجزاء، وصدق رسله الكرام فيما أخبروا به عن الله تعالى[2].

ومن هنا سيجد الناس بما فيهم الكفار والمؤمنين أن الرسل كانوا صادقين في إخبارهم عن الله تعالى ووحدانيته، وفي وعدهم بالجنة والنار، بحيث أن كل شخص سينال جزاءه، وعلى هذا الأساس فلا يمكن أن يصدر عن الرسول ما يخل بالرسالة كالكذب والخيانة.

والناس لما يسمعون أحاديث الرسل عن الجنة والنار، ويستشعرون حقيقتهما، فإنهم سيخافون من أهوال ذلك اليوم، ومن مصيرهم فيه، فيؤمنون برسالة الرسل -عليهم السلام-، ومن هنا تعد هذه المهمة من أبرز المهمات وأصعبها جميعا لما لها من أهمية بالغة عند الناس.

فهذه بعض وظائف المرسلين التي وردت في سورة يس، والتي تزيدهم شرفا إلى شرفهم، وفضلا إلى فضلهم، ويكفيهم فخرا أنهم يبلغون عن رب العالمين، فسبحان الذين خصهم بهذه المهمات العلية، واصطفاهم من بين سائر عباده ليقوموا بهذه الخدمة العظيمة.

ثانيا: الصفات الخَلقية

1-صفة البشرية

من تمام الحكمة الإلهية، أن يبعث الله إلى البشر رسلا منهم، فيهم صفات البشر، من

---

(1)-يس، الآيتان: 51-52.

(2)-وهبة الزحيلي: التفسير المنير، مج23، ص29.

أكل وشرب، وحزن ومرض، ونحو ذلك من الصفات الأخرى[1]، التي يشترك فيها كل الناس، قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

والشاهد في سورة يس على صفة البشرية يظهر من خلال استنكار أهل القرية لكون الرسل بشرا مثلهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[3].

يقول ابن كثير في تفسيره، مبرزا تعجب أهل القرية من كون الرسل -عليهم السلام- بشر مثلهم: «أي كيف أوحي إليكم وأنتم بشر، فلم لا أوحيي إلينا مثلكم، ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة، وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم»[4].

وتتمثل الحكمة من كون الرسول إنسانا بشرا، حتى يكون في دعوته وأفعاله وأخلاقه وسلوكه حجة عليهم، ويضرب بنفسه المثل الأعلى على استطاعة البشر تطبيق ما أمرهم الله به، وابتعادهم عما نهى عنه[5].

2-صفة الذكورة

اتفق أهل العلم على شرط الذكورة في الرسالة والنبوة، إذ لا يجوز أن تكون المرأة رسول أو نبي.

فالرسالة تقتضي الإشهار بالدعوة، والتردد إلى مجامع الناس وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء[6]، وهذا ما نجده في قصة أصحاب القرية، حيث نجد رسل الله دخلوا القرية، وذهبوا إلى الناس، وجادلوهم، وهذا الأمر عسير على النساء لأن من موجبات الأنوثة الستر.

---

(1)-انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص344. محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص396.

(2)-الكهف، الآية: 110.

(3)-يس، الآية: 15.

(4)-تفسير القرآن الكريم، ج15، ص606.

(5)-محمود سالم عبيدات: المرجع السابق، ص396.

(6)-رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري: أصول الدين الإسلامي، ص258.

المطلب الثالث: وظائف الرسل

وردت في سورة يس وظائف جليلة لرسل الله -عليهم السلام-، تتمثل أساسا في:

أولا: الدعوة إلى عبادة الله

وهي المهمة الرئيسة التي بعث من أجلها الرسل الكرام[1]، بل هي قلب المهمات جميعا، وتتمثل في دعوة الخلق إلى الإيمان بالله الواحد القهار، وإفراده بالعبودية الخالصة[2]، وتتضح لنا هذه الدعوة في سورة يس من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[3]. والمعنى؛ إن العهد الذي أخذه الله على عباده جميعا، هو أن يجتنبوا عبادة الشيطان، وأن يحذروا الاستجابة له فيما يدعوهم إليه، وأن يفردوا الله الواحد بالعبادة، فهو على الصراط والنهج السوي[4].

فغاية الرسل -عليهم الصلاة والسلام- العظمى ووظيفتهم الكبرى وهدفهم الأسمى، دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وخلع عبادة ما سواه[5]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[6].

فالدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، والانتهاج بنهجه في الحياة الدنيا، من أهم وظائف الرسل -عليهم السلام- التي بلغوها للناس، فهي أول دعوتهم، وأكبر هدفهم في كل زمان ومكان، وفي كل بيئة تصحيح العقيدة لله تعالى، وتصحيح الصلة بين العبد وخالقه، والدعوة إلى إخلاص الدين لله وحده، وإفراده بالعبادة وحده، وأنه النافع والضار والمستحق للعبادة[7].

ومن هنا كانت الدعوة إلى عبادة الله تعالى، رأس الوظائف التي بعث من أجلها الرسل الكرام -عليهم السلام-.

---

(1)-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص377.

(2)-محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص25.

(3)-يس، الآيتان: 60-61.

(4)-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، مج6، ج23، ص545-546.

(5)-ابن تيمية: كتاب النبوات، ج1، ص15.

(6)-النحل، الآية: 36.

(7)-عفيف عبد الفتاح طباره: مع الأنبياء في القرآن الكريم، ط15، (لبنان: بيروت، دار العالم للملايين، 1980)، ص15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: إرشاد الناس وهدايتهم

يعد إرشاد الناس وتعليمهم، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم من أهم وظائف الرسل -عليهم السلام-، فالرسول في أمته مرشد وهاد ومعلم[1].

وتتجلى لنا مهمة إرشاد الناس في سورة يس في محاولة الرسل الكرام إقناع أهل القرية بعبادة الله الواحد القهار لإخراجهم مما كانوا عليه من عبادة آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[2].

قال الرازي في تفسيره للآية: «واضرب يعني يا محمد لأجلهم ولأجل نفسك أصحاب القرية لهم مثلا، إذ أنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوفوا بالقيامة، وبشروا بنعيم دار الإقامة»[3].

هذا أحد الوجوه التي ذكرها الرازي[4] في تفسيره للآية الكريمة حيث نجد ان الرسل أنذروا الناس، ودعوهم إلى عبادة الله تعالى، وخوفوهم بيوم الحساب، ووعدوهم بالجنة إن هم آمنوا، فكل ما قام به الرسل -عليهم السلام- هو دلالة على محاولتهم إنقاذ الناس في الحياة الدنيا من أدران الشرك بالله تعالى للفوز بنعيم الآخرة.

وقد نجح رسل أهل القرية في سورة يس في إرشاد وهداية مؤمن آل يس، ويظهر ذلك من خلال محاولته بدوره في دعوة اهل القرية لعبادة الله، وترك عبادة الأوثان، قال تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِي﴾[5].

---

[1]-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص278.

[2]-يس، الآيتان: 13-14.

[3]-التفسير الكبير، ج26، ص50.

[4]-الفخر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله فخر الدين الرازي، ولد سنة 544هـ، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول، له مصنفات كثيرة منها: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، المحصول في علم الأصول. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج4، ص248-249.

[5]-يس، الآيتان: 22-23.

فكانت عاقبته الجنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ﴾[1].

ثالثا: التذكير بالنشأة والمصير:

وتتمثل هذه المهمة في تذكير الخلق بنشأتهم، ومصيرهم بعد الموت وتعريفهم بما بعده من شدائد، وأهوال وترغيبهم من جانب آخر في الحياة الأخرى، والعمل من أجلها، وتزهيدهم في الحياة الدنيا[2].

فبالنسبة للنشأة قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[3]، والمعنى أولم ينظر هذا الإنسان الكافر نظرة اعتبار، ويتفكر في قدرة الله، فيعلم أنا خلقناه من شيء مهين حقير هو النطفة، فإذا به شديد الخصومة، والجدال بالباطل، يخاصم ربه، وينكر قدرته[4].

فالكافر عندما ينظر نظرت اعتبار إلى مبدأ خلقه، ويتمعن في ذلك، فسيدرك حتما أن وراءه خالق عظيم قد أوجده من عدم بعد أن لم يكن، فسيتجه نحوه بالعبادة أملا في النجاة يوم القيامة.

أما بالنسبة للمصير، ففي السورة بعض الآيات التي تصف الجنة ونعيمها والنار وشقاؤها، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[5]. والمعنى أن أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي، ومصيرهم في النار، وما هم فيه من آليم العذاب[6].

---

[1]-يس، الآيتان: 26-27.

[2]-محمد سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص377.

[3]-يس، الآية: 77.

[4]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص24.

[5]-يس، الآيات: 55-57.

[6]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص43.

فنجد المؤمنين يوم القيامة سعداء بما لقوا من النعيم المقيم في الجنة، نتيجة إيمانهم بالله تعالى، وبرسالة الرسل –عليهم السلام–، وتطبيقهم لكل أوامرهم ونواههم.

ولما ذكر الله تعالى حال هؤلاء في الجنة، أعقبه بذكر حال الكفار في النار، وما لقوه من الخزي والدمار، نتيجة كفرهم وعنادهم، قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1]. والمعنى؛ أن هذه نار جهنم التي أوعدكم بها الرسل الكرام وكذبتهم بها، فذوقوا حرارتها، وقاسوا أنواع عذابها اليوم بسبب كفركم في الحياة الدنيا[2].

يقول محمد الغزالي: «عرفنا عن طريق الرسل كذلك الإيمان باليوم الآخر وما يسبقه وما يلحقه من حساب وثواب وعقاب، وعرفنا ذلك على جهة اليقين الجازم، ولو لا بلاغ الوحي لعجز العقل المجرد عن فهم النهاية المرتقبة لعالمنا الزاخر»[3].

والحكمة من الحديث عن النار وأهوالها، أن الناس لما يدركون عذاب النار وأهوالها في اليوم الآخر، فسيعملون جاهدين لتجنبها في الحياة الدنيا عن طريق تحسين سلوكاتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، فالناس عندما يعرفون النار ودركاتها، فسيتقونها ويتبعوا ما أنزل الله تعالى للفوز برضوانه.

ومن هنا فقد دلت هذه الآيات من السورة عن دور الرسل في التعريف باليوم الآخر، الذي له أثر كبير في توجيه سلوك الناس في الحياة الدنيا.

---

(1)–يس، الآيتان: 63–64.

(2)–أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، ج4، ص388.

(3)–عقيدة المسلم، ص219.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الرسالة: الاعتراضات والرد عليها

تقتضي الرسالة رسول، وهذا الرسول مرسل من عند الله تعالى، وبالنظر إلى مسيرة الأنبياء والرسل نجد أن الكثير من الناس أنكروهم، وجحدوا رسالتهم، وتحدثنا سورة يس عن بعض هذه الاعتراضات الواردة حول رسالة الرسل عامة، ورسالة محمد ﷺ خاصة، وهي:

- إنكار بشرية الرسل؛
- إنكار الوحي؛
- إنكار رسالة محمدﷺ ؛
- اتهامه بالشعر.

المطلب الأول: الاعتراضات على بشرية الرسل

وصلنا في صفة البشرية آنفا إلى نتيجة مفادها أن الرسول من نفس الأمة، يأكل ويشرب، ويتزوج، ويمرض ويتألم، وذكرنا الحكمة من ذلك، وسنتعرف في هذا المطلب إلى اعتراض أهل القرية -في سورة يس- على هذه الصفة في الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إليهم لهدايتهم إلى طريق الحق.

أولا: الشبهة

قال جل وعلا: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[1]؛ والمعنى أي: كيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا يوحى إلينا مثلكم[2]، وقال الرازي مبينا السبب الرئيسي في إنكارهم بشرية الرسل -عليهم السلام-: «جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الإرسال، وهذا عام من المشركين، وإنما ظنونه دليلا بناء على أنهم لم يعتقدوا في الله الاختيار، وإنما قالوا فيه إنه واجب بالذات، وقد استوينا في البشرية، فلا يمكن الرجحان»[3].

(1)-يس، الآية: 15.

(2)-ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج15، ص606.

(3)-التفسير الكبير، ج26، ص52.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولما اعترضوا على هذه الصفة، فقد طلبوا أن يكون الرسول ملكا من الملائكة، وهذا على أساس أنهم يعتبرون أن كل ما يتعلق بظاهرة الوحي يجب أن يكون عجيبا وخارجا عن التصور البشري، ومن ثمة فلا يجوز أن ينزل هذا الوحي على واحد من البشر[1]، يقول سيد قطب: «فقد كانوا يتوقعون دائما أن يكون هناك سر غامض في شخصية الرسول، وحياته تكمن وراء الأوهام والأساطير، أليس رسول السماء إلى الأرض، فكيف لا تحيط به الأوهام والأساطير، وكيف يكون شخصية مكشوفة بسيطة، لا أسرار فيها، ولا ألغاز حولها، شخصية بشرية عادية من الشخصيات التي تمتلئ بها الأسواق والبيوت»[2].

ثانيا: الرد على الشبهة

يمكن الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه:

1-الناس عندما أنكروا بشرية الرسل عبر الأزمان والأعصار، أخذوا الأمر من جهة التكذيب لا من جهة التصديق، ولذلك كانت الحكمة تخفى عليهم، فقد كانوا يكذبون بالوحي ابتداء، ويعتبرونه شيئا غير قابل للتصديق، ثم يبنون على ذلك تصورات خاطئة، كيف يمكن أن يوحي الله إلى واحد من البشر بشيء، وكان مصدر ذلك أن تصورهم لقدرة الله ناقص ومحدود، كما أن تصورهم للطاقة البشرية محدود كذلك في نطاق ذواتهم فحسب، فهم لا يتلقون وحيا ولا يخطر ببالهم أن يتلقوا شيئا من الوحي قط، ومن ثم يقيسون كل البشر على أنفسهم، فيقولون إنه لا يمكن أن يتنزل الوحي على أي واحد من البشر على الإطلاق[3].

2-أن الله لو أنزل ملكا رسولا كان لا بد أن يتخذ صورة البشر حتى يتمكن من مخاطبة القوم، ودعوتهم إلى عبادة الله، وعندئذ سيعود اعتراضهم بأن الرسول الذي أرسله الله إليهم ليس من البشر، فيلتبس عليهم الأمر.

3-إن الحكمة منتفية في جعل الرسول من غير البشر، إذ أن الرسول لا يأتي ليبلغ الناس ثم يمضي، بل إنه يمكث معهم ليربي فئة منهم على الحق، ويكون هو بنفسه القدوة

---

(1)-عبد الكريم نوفان عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص360.

(2)-في ظلال القرآن، ج23، ص14.

(3)-عبد الكريم نوفان عبيدات: المرجع السابق، ص359.

العملية لهم، فيكونون بدورهم قدوة لغيرهم من الناس، قال جل شأنه: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[1]. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تتحقق القدوة إذا لم يكن الرسول من غير جنس البشر؟! ، فالناس سيقولون حتما، هذا ملك ونحن بشر، لنا أجساد ونزعات وشهوات، والملائكة ليسوا كذلك، ومن هنا فإنهم سيمتنعون عن الالتزام بأمر ربهم، بحجة أن هذا الالتزام ليس في وسع البشر، ولا هو من شأنهم، إنما هو من شأن الملائكة الذين لا يسكنون هذه الأرض، ولا يحسون بثقلة الأرض تشدهم عن طريق الرغبات والشهوات، وعند ذلك سيقولون لماذا أرسل الله إلينا ملكا، ويطلب منا الاقتداء به في أعماله، أفلا يرسل إلينا بشرا مثلنا، يحس كما نحس، ويفكر كما نفكر، ويشعر بضرورتنا وبحدود مجهوداتنا.

وعلى هذا، فقد كانت الحكمة الربانية من إرسال الرسل من البشر حتى لا يقف اختلاف الجنس حائلا بين الناس، وبين الاقتداء برسولهم في أفعاله وأقواله، وحتى تتمثل الأسوة للناس في واحد من جنسهم له جسد وغرائز من مأكل ومشرب وملبس[2].

4-اختار الله سبحانه وتعالى الرسل من جنس المرسل إليهم ليكونوا على صلة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين على ما يعانون من آلام مقيمين عليهم الحجة الدامغة بإيضاح الطريق المستقيم[3]، كما أنه ليس من الضروري أن تحيط الأسرار والألغاز حول شخصية الرسول، ويحدثنا سيد قطب كذلك مبينا تهافت هذا التصور فيقول: «الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدو فيه سذاجة التصور والإدراك، كما يبدو فيه الجهل بوظيفة الرسول، فقد كانوا يتوقعون دائما أن يكون هناك سر غامض في شخصية الرسول، وحياته تكمن وراء الأوهام والأساطير، وهذه هي سذاجة التصور والتفكير، فالألغاز والأسرار ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة»[4].

---

[1]-الحج، الآية: 78.

[2]-عبد الكريم نوفان عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص364.

[3]-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص844.

[4]-في ظلال القرآن، ج23، ص14.

5-والذين استعظموا اصطفاء الله البشر رسلا نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان ونظروا إليه كجسد يأكل ويشرب وينام، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي هي نفحة من روح المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، وبهذه الروح تميز الإنسان، وصار إنسانا، واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الإستعدادات للإتصال به عن طريق تلك النفحة العلوية التي ميزته، فلا عجب إذن أن يختار الله واحدا من هذا الجنس، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق[2].

ومما تقدم نرى أن الإعتراض على صفة البشرية التي يمتاز بها رسل الله -سبحانه وتعالى-ليس له برهان واقعي أو عقلي يعضده.

المطلب الثاني: إنكار الوحي

أنكر أهل القرية -في سورة يس-الوحي، وشككوا في صحته، فما هو فحوى هذا الإنكار؟ وكيف رد الله سبحانه وتعالى عليه؟ هذا ما سنتناوله فيما يأتي:

أولا: الشبهة

قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[3]، والمعنى أن أهل القرية أنكروا أن يكون المولى تبارك وتعالى قد أنزل شيئا على هؤلاء الرسل، وظاهر قولهم في الآية يقتضي إقرارهم بالألوهية، ولكنهم ينكرون رسالة الله للبشر بوساطة بعض الناس[4]، فيظهر بذلك من كلامهم النكران الصريح للوحي الإلهي.

وقد اقتفى أثر هؤلاء اليوم الكثير من الماديين الذين قالوا بأنه ليس وراء عالم المادة عالم أرقى منها، فلم يعترفوا أصلا بوجود العالم العلوي، أو عالم الروح، والوحي في نظرهم أمر غير مرئي، ولا يرى بالعين المجردة، لذلك فقد أنكروا هذه الظاهرة.

---

(1)-الحجر، الآية: 29.

(2)-عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، ص69.

(3)-يس، الآية: 15.

(4)-عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولنضرب لذلك مثالا نوضح فيه أكثر، فالحشرة المسماة (نيكروفور) تموت بعد أن تبيض مباشرة، أي أنها لا ترى أولادها، ولكنها قبل أن تضع البيض تهتم كل الاهتمام بوضع جثث حيوانية مع بيضها كغذاء للصغار متى خرجوا من البيض، فمن الذي أعلم هذه الحشرات أن في بيضها صغارا، وأنها ستخرج في حاجة ماسة إلى الطعام، وأن تلك الجثث الحيوانية هي طعامها[1].

ومن هنا، فهذه الإلهامات دليل آخر على أن الله سبحانه وتعالى، يمنح المخلوقات علما بما يقيمها ويصلحها من غير أن يكون طريق الحواس المعهود، وإذا كان هذا في عالم الحيوان، فهو أولى بأن يصح كذلك في عالم الإنسان، حيث تكون علاقاته واتصالاته بالأفق الأعلى أقوى، وهذا المثال يوضح كذلك أن للإنسان اتصالات روحية في عالم فوق هذا العالم، لا يشعر به الإنسان العادي، حيث اختص المولى سبحانه أفرادا من الناس بوحيه يعلمهم ما يشاء من غير الطرق المتعارف عليها والمألوفة عند البشر.

3-الأجهزة العلمية

تحدث في حياة الإنسان الكثير من الوقائع في كل لحظة، وهو يقف عاجزا عن إدراكها أو سماعها، أو حتى الإحساس بها عن طريق أجهزته العصبية، ولكن العلم الحديث استطاع أن ييسر له سبل إدراكها بواسطة الأجهزة العلمية التي اخترعها، حيث أن هذه الأجهزة العلمية يمكنها أن تدل على صوت ذباب طائر بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك، بل إن هناك مخترعات علمية وصل البحث العلمي إليها إلى درجة أنها تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء[2].

وها هو الهاتف السلكي واللاسلكي اليوم، حيث أصبح الرجلان من أقصى مشرق العالم إلى أقصى مغربها، يتخاطبان ويتراءيان من حيث لا يرى الجالسون ذلك[3].

---

[1]-محمد فريد وجدي: السيرة النبوية بين الفلسفة والعلم، تقديم: محمد رجب البيومي، ط2، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001)، ص47-48.

[2]-وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص150-151.

[3]-محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، د.ط، (مصر: د.د، (1373هـ-1960م))، ص74.

فإذا كان العلم وصل إلى هذه النتيجة في الوقت الحاضر من تسجيل حوادث وأشعة غير محسوسة ولا مرئية للناس، بل أضحى البشر يتخاطبون مع بعضهم بعض وهم بعيدون جدا، فكيف إذن أن ننكر الوحي الإلهي بين الله وبين أحد عباده على أساس أنه غير مرئي ومادي،

ومن هنا وبالنظر إلى المشاهدات اليومية لبعض الحيوانات وقوة إحساسها وإلهامها، وانطلاقا من الأجهزة العلمية والتي تستطيع تسجيل حركات وأصوات لا تسمعها آذان الإنسان، فالوحي ممكن وقوعه.

المطلب الثاني: إنكار رسالة محمد ﷺ

رد الله ﷻ في سورة يس على اعتراض وتكذيب فريق من أهل مكة على رسالة الرسول محمد ﷺ، وهذا ما سنحاول بيانه فيما يأتي:

أولا: الشبهة

تبتدأ سورة يس بقول تعالى: ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، قال ابن القيم شارحا هذه الآية: «أقسم سبحانه بكتابه على صدق رسوله، وصحة نبوته ورسالته»[2]. ومنه، فالقسم الوارد في السورة تأكيد من الله تبارك وتعالى أنّ محمد ﷺ هو رسول من جملة المرسلين الذين سبق إرسالهم إلى الخلق[3]. وهذا التأكيد يدل دلالة صريحة على أنّ هناك نكران كبير من قوم الرسول ﷺ فكأنّ المولى ﷻ يقول لرسوله لا تعبأ بقول الكافر «لست مرسلا»[4].

والله سبحانه وتعالى يريد بهذا القسم الصريح تثبيت رسوله الكريم وتذكيره بأنه ما من أمة إلا وكذبت برسولها، وهذا من خلال ضربه ﷻ مثلا لقصة أهل القرية الذين أنكروا رسالة الرسل الثلاثة، وكيف كانت خاتمة مؤمن آل يس حين آمن بهم.

---

(1)-يس: الآيات 1-3.

(2)-الضوء المنير على التفسير، دط، (الرياض: مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، دت)، ص110.

(3)-هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني: معجزات قلب القرآن، ط4، (جدة: مكة، دار الشروق، 1988م)، ص285.

(4)-محمود محمد حمزة وآخرون، تفسير القرآن الكريم، ج22، ص133-134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: الرد على الشبهة

إن المتتبع لسورة يس يجد فيها نوعان من الدلائل على صدق رسالة محمد ﷺ، ويمكن تقسيمها إلى دلائل تاريخية ودلائل علمية، فأما.

1-الدلائل التاريخية:

يقول القاضي عياض[1] شارحا هذا النوع من الدلائل: «وهي ما أنبأنا من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القد من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي ﷺ على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعلم، وقد علموا أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب»[2].

ويظهر هذا النوع من الدلائل في قصة تلك القرية التي أرسل الله تعالى إليها ثلاثة رسل، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[3]، وقد أجمع المفسرون كما ذكرنا سابقا أن هذه القرية هي (أنطاكية)، ولكنهم اختلفوا في حقيقة هؤلاء الرسل، فذهب أكثرهم إلى أنهم حواريي المسيح، ورسله الذين بعثهم لينشروا الدعوة في الناس.

وهذا التأويل للقرية وللرسل لا يقوم له شاهد من القرآن الكريم، ولا تدل عليه إشارة من إشاراته القريبة أو البعيدة، إنما هو من واردات أهل الكتاب وأخبارهم[4].

---

(1)-القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، الإمام العلامة، يكنى أبا الفضل، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل (496-544هـ)، وقيل أنه مات مسموما، له تصانيف مفيدة منها: كتاب كمال العلم في صحيح مسلم، كتاب الشفاء، وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة. انظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص: ص-هـ-و. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص212.

(2)-انظر: الشفاء، ص13-14. محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الثقاة إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ت: إبراهيم إبراهيم هلال، د.ط، (القاهرة: مصر، مكتبة النهضة المصرية، (1406هـ-1986م))، ص69.

(3)-يس، الآيتان: 13-14.

(4)-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج22، ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والسؤال الذي نطرحه: هو إذا كانت هذه القصة واردة عند أهل الكتاب، فأنى لمحمدﷺ وهو ربيب الصحراء أن يعرفها بفاصيلها المذكورة آنفا؟ فمن أخبره بها؟ وهل كان يستطيع من تلقاء نفسه أن يسرد هذه القصة في مثل هذه الصورة البيانية الرائعة دون مصدر إلهي لها؟ الجواب، بالتأكيد سيكون لا.

ومن هنا يتبين أن مصدر الوحي الإلهي هو الله سبحانه وتعالى، الذي يعلم السر وما يخفى، كما يظهر كذلك بجلاء ووضوح صدق الرسول ﷺ في دعواه.

ويشير المولى ﷻ في السورة مرة أخرى إلى قصة سيدنا نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ. إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[1].

والمعنى؛ «وآية لأهل مكة أن حملنا ذرية القرون الماضية (في الفلك المشحون)، فالفلك في القول الأول هو سفينة نوح، والذرية هم الآباء والأجداد، حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام[2].

وأغلب أقوال المفسرين في الفلك أنها سفينة نوح عليه السلام، فمن أعلم الرسول ﷺ بها؟ وقد وقعت منذ ملايين السنين؟ أليس هذا هو وحي السماء الذي نزل عليه؟ فمحمد وكما ذكرنا سابقا كان أميا لا يربطه قبل سن الأربعين بالتاريخ الإنساني سبب، حتى المعبر الوحيد الذي كان مفروضا وجوده بينه وبين التاريخ الإنساني وهو والده تحطم قبل ولادته، وحتى والدته ماتت وهو طفل صغير، قبل أن يستقي من معلوماتها عن التاريخ الإنساني المكتوب أو المقروء أو المسموع، فمن أين عرف محمد ﷺ قصة نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء، فما ترك رسولنا الكريم دين من أديان البشر إلا عرف بأهله واستخلص العبرة منه، كما نجده قد حدد كل مرض من أمراض الكفر والفسوق والعصيان التي أصابت كل دين من أديان البشر.

---

[1]-يس، الآيات: 41-44.

[2]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن هنا يظهر صدق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به عن ربه، وتبرز كذلك صحة رسالته النبوية، إذ كيف له أن يعرف أخبار القرون الماضية لو لم يكن خبر السماء إلى الأرض الذي نزل عليه.

ثانيا: الدلالة العلمية

يذكر عبد المجيد الزنداني هذا النوع من الدلائل في كتابه الموسوم بـ"توحيد الخالق" فيقول: «من بينات رسالة نبينا محمد ﷺ ما ظهر من إعجاز جديد للكتاب الذي جاء به من عند الله، وذلك هو السبق العلمي للقرآن الكريم الذي ذكر حقائق في الكون لم تكن البشرية تعلم عنها شيئا، وبعد مرور عدد من القرون، وتقدم أجهزة الكشف العلمي، وقف العلماء على طرف من هذه الحقائق التي كان القرآن الكريم قد ذكرها قبل قرون وقرون»[1].

ومع ذلك، فالقرآن الكريم ليس كتاب علمي كباقي الكتب الأخرى، إنما جاءت فيه مجموعة من الإشارات عن بعض الحقائق العلمية التي أماط اللثام عن بعضها في الوقت الراهن، إذ تمثل هذه الحقائق الأسس العلمية والأصول الثابتة لجميع ما اكتشف من علوم الأرض والسماء في الكيمياء والفلك والطب والطبيعة[2].

فمن أين لمحمد بن عبد الله وأمته وهم يجهلون كل شيء عن المادة وخواصها التحليلية في العناصر والمركبات، أن يعرفوا تلك الحقائق العلمية؟ وكيف جاء القرآن بهذه المعلومات التي ثبتت بعد قرون؟ ألا يدل هذا على أن هناك عالم قدير خبير جبار هو الذي أوحاها إليه، مما يدل ذلك على صدق رسالة نبيه الكريم.

وقد جاء ذكر بعض هذه الحقائق العلمية الحديثة في سورة يس نذكر منها بعض النماذج للتدليل، على أساس أن الكثير منها قد ذكرناه سابقا في فصل الإيمان بالله.

1-جاء في سورة يس قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

---

(1)-توحيد الخالق، ط4، (د.ب: مؤسسة الكتب الثقافية، (1411هـ-1991م))، ج1، ص112.

(2)-عبد الكريم نوفان عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص386.

خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[1]. ففي الوقت الذي كان فيه علماء الأجنة في أوربا وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر، منقسمين في مسألة خلق الإنسان، بين من يقولون إنه يكون مخلوقا خلقا تاما في الحوين المنوي، وبين من يعتقدون بأنه يخلق خلقا تاما من بيضة المرأة، فإن القرآن الكريم منذ قرون قد حسمها، مبينا مسؤولية كل من الحوين المنوي والبيضة في عملية التخليق[2].

فكيف عرف محمد ﷺ أنّ الإنسان مخلوق من نطفة حقيرة وبسيطة من غير أن يمتلك الأجهزة الطبية الحديثة، علاوة على أنه لم يكن طبيب، بل كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ألا يدل هذا على صدق رسالته.

2-وجاء في سورة يس كذلك: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. نظام الزوجية المذكور بإيجاز في هذه الآية، اكتشفه العلماء مؤخرا، وثبت في كل شيء في الوجود: في الإنسان والجمادات والحيوانات والنباتات، أليس هذا تطابق مع كلام الرسول الأمين محمد ﷺ، حين قال عن ربه: «مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون»، كيف عرف محمد بن عبد الله هذه السنة الكونية في مثل بيئته التي عاش فيها؟ هل كان ذلك عن طريق دراسة علمية، أم أنه وحي السماء.

3-وجاء في سورة يس قوله جل وعلا: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4]. هذه الحقيقة المذكورة في القرآن الكريم، تمّ اكتشافها لاحقا من خلال المراقبة الفلكية في الوقت المعاصر، فبعد ألف سنة أو أكثر، اكتشف علماء الفلك أن الشمس تجري فعلا، وحددوا بالأجهزة والمقاييس معدلات سرعتها ووجهتها[5].

كيف عرف محمد ﷺ قبل ألف سنة أن الشمس تجري، إلا بوحي من السماء، وأن له أن يقرر النظرية بروعتها البيانية، ولم يتهيأ له قبل قرون شيئا من وسائله كالتلسكوبات

---

(1)-يس، الآية 77.

(2)-هدى عبد الكريم مرعي: الأدلة على صدق النبوة المحمدية، ص192.

(3)-يس، الآية 36.

(4)-يس، الآية: 40.

(5)-هارون يحي: المعجزات القرآنية، ص229.

وتقنيات المراقبة الحديثة، ألا يدل هذا على صدق رسالته السماوية.

ومن هنا، يتبين لنا أنّ محمد ﷺ كان صادقا في دعواه إلى الله، وفي رسالته السماوية بنص القرآن نفسه، إذ أنّ كل هذه المعلومات السابقة والمذكورة في سورة يس كأنموذج لا يتصور أبدا أنها من عند إنسان بحال من الأحوال، ولا سيما إذا كان أميا.

المطلب الرابع: اتهامه بالشعر

تتناول سورة يس فرية الشعر من بين افتراءات كثيرة اتهمه بها كفار مكة، فما هي هذه الشبهة؟ وكيف كان رد القرآن عليها.

أولا: الشبهة

وتتمثل هذه الشبهة في اتهام كفار مكة الرسول ﷺ بكونه شاعر، وأن القرآن الكريم شعر، وتعدّ هذه التهمة من أكثر الافتراءات رواجا في عهده عليه السلام، وقد نفاها المولى عز وجل في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1]. والمعنى أنه تعالى ما علّم نبيّه محمد ﷺ الشعر، فهو ليس بشاعر، وما هو في طبعه، ولم يؤثر عنه قول الشعر، حتى أنه لم يكن كما عرفوه من بين شعرائهم، وقد ورد عنه ﷺ أنه كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم، وهذا كتاب الله الذي بين يديه ليس من واردات الشعر، كما يزعمون زورا وبهتانا[2].

فنفى المولى سبحانه وتعالى هذه التهمة الباطلة عن رسوله الكريم وقرآنه المبين. وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال هو: لماذا اتهم الرسول ﷺ بهذا الاتهام مع أنه لم يقل شعرا أبدا؟ والجواب عن ذلك: أنّ الكفار وجدوا في القرآن الكريم جاذبية خاصة أثرت في نفوسهم ونفس من حولهم، فحاولوا تفسير هذه الظاهرة، واستغفال الناس، وصرف أنظارهم عن كون ذلك الكلام وحيا، فأشاعوا هذه التهمة في كل مكان[3].

---

(1)-يس، الآية: 69.

(2)-انظر: ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج15، ص628. وعبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، مج6، ج23، ص950-951.

(3)-www. amiralmominin. Net. الأحد 29 أوت 2004 (11:30).

ثانيا: الرد على الشبهة

يمكن القول أن ما ادعاه العرب على رسول الله ﷺ وعلى القرآن الكريم باطل من عدة وجوه.

1-أنه كان ﷺ لا يتهدى إلى إقامة وزن الشعر، حيث أنه كان يكسر البيت الشعري إذا تمثل به، رغم أنه من أفصح العرب إجماعا، فلم يكن ينشد البيت تاما على وزنه الصحيح[1]، وها هي بعض الأمثلة على ذلك:

-وروي أنّ رسول الله ﷺ قال للعباس بن مرداس السلمي[2] ﷺ: «أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة»[3]، فقال: «إنما هو بين عيينة والأقرع»، فقال ﷺ: «الكل سواء»، يعني في المعنى.

-أنه لم يجر على لسانه ﷺ مما صحّ وزنه إلا ضربان من الرجز المنهوك[4] والمشطور[5]، أما الأول فكقوله: في يوم أحد:

أنا النبي لا كذبت أنا ابن عبد المطلب[6].

والثاني كقوله في رواية جندب أنه ﷺ دميت أصبعه، فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[7].

---

(1)-مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1985)، ص339.

(2)-عباس بن مرداس السلمي: هو عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن يحيى ابن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي، مات أبوه وشريكه حرب بن أمية والد أبي سفيان في يوم أحد، وشهد العباس بن مرداس مع النبي ﷺ حنينا. انظر: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص272.

(3)-أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ومن قوية إيمانه، ج2، ص737-738.

(4)-المنهوك: هو ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، وهو أخف أوزان الرجز. ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص1588.

(5)-المشطور: جعل البيت ثلاثة أجزاء، فيتحد العروض والضرب وعليه أكثر رجز العرب. المرجع نفسه، ج3، ص1588.

(6)-أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب: من يسب أو يطعن في سبيل الله، حديث رقم: 18، ج4، ص73، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، غزوة حنين، حديث رقم: 78-79-80، ج3، ص1403.

(7)-أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب: سهام الفرس، حديث رقم: 79، ج4، ص94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وينفي مصطفى صادق الرافعي[1] كون هذه الأبيات من الشعر، فيقول: «وإنما اتفق له ذلك، لأن الرجز في أصله ليس بشعر، وإنما هو وزن كأوزان السجع، وهو يتفق للصبيان، والضعفان من العرب، يتراجزون به في عملهم، وفي لعبهم، وفي سوقهم، ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء، فقد يتسق لهم الرجز الكثير عفوا غير مجهود»[2].

2-اضطراب العرب في موقفهم من رسول الله ﷺ، فهم الذين رموه بالشعر، وهم أنفسهم نفوا عنه هذه التهمة، فها هو الوليد بن المغيرة لما سمع كلامه ﷺ، وقرأ عليه القرآن رقى، فجاءه أبو جهل منكرا عليه، قال: والله ما منكم من أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا[3].

وفي خبره الآخر، حين جمعوا قريش عند حضور الموسم، وقالوا: إن وفود العرب ترد، فأجمعوا فيه رأيا، لا يكذب بعضكم بعضا، فقالوا نقول كاهن، قال والله ما هو بكاهن، ما هو بزمزمته، ولا سجعه، قالوا مجنون، قال: ما هاهو بمجنون، ولا بخنقه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، وقد عرفنا الشعر كله برجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه، ما هو بشعر[4].

4-أن ما يظهر من احتقان ورعب عند الوحي لا يظهر على الشاعر إن أراد نظم شعره[5]. يقول محمد سعيد رمضان البوطي ردا على هذه الدعوة الباطلة: «فالملهمون والشعراء لا يقعون فريسة لارتعاد الفرائص، واصفرار اللون عندما يمارسون شيئا من التفكير، ومحمد ﷺ لا يعقل أن يكون منطويا في وقت واحد على أدق صفات الأمانة والصدق، وأحط مظاهر التدجيل والكذب والتمثيل»، ثم يقول في ختام حديثه: «وإذا ظهر

---

(1)-مصطفى صادق الرافعي: هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس بالشام، (729-817هـ/1329-1415م) وفاته في طنطا (مصر)، له ديوان شعر 3أجزاء، وتاريخ أدب العرب، وإعجاز القرآن والبلاغة. انظر: الزركلي: الأعلام، مج7، ص265.

(2)-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص343-344.

(3)-البيهقي: دلائل النبوة، ط2، (د.ب: دار الفكر، (1403هـ-1983م))، مج1، ص446.

(4)-المرجع نفسه، ص447.

(5)-رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري، أصول الدين الإسلامي، ص291.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بطلان هذه النتائج في ميزان أو عقل ظهر بطلان الفرضية التي استلزمتها»[1].

وبعد كل هذه الردود، نتساءل عن الحكمة في تنزيه الله سبحانه وتعالى رسوله الكريمﷺ عن قول الشعر.

ثالثا: الحكمة من تنزيهه عن الشعر

يمكن القول أن هذه الحكمة تتجلى فيما يأتي:

1-أنه تعالى أخبر عن الشعراء أنهم كانوا في كل واد يهمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأن للشعر شرائط لا يدعى المرء بدونها شاعرا، كما قال بعضهم، وقد سئل عن الشعر «إن هزل أضحك، وإن جدّ كذب، فالشاعر بين كذب وإضحاك»[2]. فنزه الله رسوله عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء، وإنّا لنكاد نجد شاعرا إلا مادحا أو هاجيا، وهذه الأوصاف لا تصلح لرسول.

2-أن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض، وصناعة الإيقاع، إلا أنّ صناعة الإيقاع تقسم الزمن بالنغم، وصناعة العروض تقسمه بالحروف المتنوعة، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ[3].

3-الشعر ما كان يليق بمقام الرسول ﷺ، لأنه يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن، في حين نجد الشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى، والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ[4].

4-الشعر والنبوة مختلفان كل الاختلاف، حيث للشعر منهج خاص وللنبوة منهجها، فالشعر انفعال وتعبير عن هذا الانفعال، ونحن نعلم أن الانفعال يتقلب من حال إلى حال،

---

(1)-كبرى اليقينيات الكونية، ص195.

(2)-برهان الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص112.

(3)-الرازي: التفسير الكبير، ج26، ص105.

(4)-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص344.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنبوة ثابتة، فهي وحي على منهج ثابت على صراط مستقيم، يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتغير ولا يتبدل مع الأهواء الطارئة، تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة، فالشعر في أعلى صوره أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته(1).

على أنه كان فيما وراء عمل الشعر وتعاطيه وإقامة وزنه، يحب هذا الشعر ويستنشده ويثيب عليه، حيث كان له شعراء ينافحون عنه مثل حسان بن ثابت وغيره.

ونخلص في الختام إلى أن هذا الافتراء باطل، والرسول ﷺ لم يكن شاعرا، والقرآن ليس بشعر.

(1)-سيد قطب: في ظلال القرآن، ج23، ص34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالرسل والرسالة في الفرد والمجتمع

يترتب عن الإيمان بالرسل والرسالة جملة من الآثار على المستوى الفردي والاجتماعي، عمدت في هذا المبحث إلى ذكر بعض هذه الآثار المستخلصة من سورة يس، والمتمثلة في الصبر، والشجاعة، والثبات.

المطلب الأول: الصبر

كان الصبر من أهم مميزات الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام-، حيث أن المتتبع لقصصهم في القرآن الكريم يجد أنّ الصبر كان دأب الكثير منهم، وقد صبر رسل الله الذين أرسلهم إلى أهل القرية على الشدائد والإيذاء إلى أن قتلوا، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، ففي هذه الآية إشارة إلى وعيد سكان القرية لهم بالعذاب الأليم إن لم يتوقفوا عن دعوتهم، وكذلك الأمر بالنسبة لمؤمن آل يس الذي قتل بعد تعذيب عظيم، فكانت عاقبة صبره الجنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ﴾[2].

والذين عاشوا حياة اصبر وذاقوا لذتها، وقطفوا ثمارها، إذ تركت تلك المواقف الصابرة أثرها في حياتهم، فها هو رسول الله ﷺ يقول:«وما أعطي أحد عطاء خير من الصبر»[3].

ومن أهم آثار الصبر في حياة المؤمن الاستقامة على نهج واحد، يقول حسن ترابي: «وللمؤمن في التزام الصبر سبب آخر لاستقامة حياته وسيرته على نهج واحد لضبطها، فللمؤمن الصابر موقف واحد ثابت اتجاه ظروف الحياة»[4].

---

(1)-يس، الآية: 18.

(2)-يس، الآيتان: 26-27.

(3)-أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المساءلة، حديث رقم: 701، ص246.

(4)-الإيمان وأثره في الحياة، ص315.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مهما كانت الحياة من ظروف وابتلاءات، فالمؤمن الدنيا عنده هي دار اختبار، بحيث يستقيم في كل حال على مقتضى العبادة، فما وقع به الشر رضي منه بالقضاء المبرم الذي لا يرد، ثم يقول حسن ترابي بعد ذلك «فالصبر تورثه شدة اليقين بحق الدين، وهو ضمانه لثبات المؤمن على موقف واحد لا تحوله عنه غير الظروف ولا فجأة الخير والشر»[1].

وهكذا، فالصبر المحمود ما كان فيه تمام الاستعانة والتوكل على الحي القيوم، وكمال اليقين به، هذا اليقين الذي يجعل المجاهد مقبلا لا مدبرا.

والمجتمع المسلم هو الذي يعم فيه الصبر والتوصي به[2]، لأن أي فئة اختارت طريق الابتلاء، فلم تدوم رابطتها، ولن تتماسك مع بعضها البعض ما لم تستعن بالصبر[3].

المطلب الثاني: الشجاعة

يرد معنى الشجاعة إلى أصل واحد، وهو الجرأة والإقدام، وفي لسان العرب: شجع، شجاعة اشتد عند البأس، والشجاعة شدة القلب عند البأس[4].

والشجاعة خلق نفسي له مواد تنميه من ذلك الإيمان، فإن الشجاعة تكون في الإنسان على قدر إيمانه ومعرفته بربه، وإيقانه قدره عنده ﷻ، وإيقانه أنه لا يصاب إلا بما كتب له، وإقدامه إلى ما يرضي ربه، يرفع قدره عنده عز وجل، وأن الغاية هي الجنة، وأن الدنيا لا تساوي شيئا دون أن يمس ذلك الإقدام رزقه أو أجله، وهكذا حين يكون دين المرء أعز ما لديه في هذه الدنيا، يكون في المنافحة عند بالغ الشجاعة، عظيم الجرأة، قوي الإقدام.

ولذلك كله فالأنبياء هم أشجع الناس لأنهم أعلاهم إيمانا، ولأنهم باعوا أنفسهم، وأموالهم إلى الله تعالى، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ

---

[1]-حسن ترابي، الإيمان وأثره في الحياة، د.ط، (الكويت: دار القلم، 1979)، ص316.

[2]-محمود محمد الخزندار: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ط2، (الرياض: السعودية، دار طيبة للتوزيع والنشر، (1417هـ-1997م))، ص81.

[3]-المرجع نفسه، ص79.

[4]-ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص2200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[1]

ولأنهم يحملون مبدأ، ويثقون بحفظ الله تعالى ورعايته، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[2]، والأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- حظوا بأوفر الحظ من الشجاعة ليكون لديهم القوة ما يقوم به عملهم، وهو دعوة الخلق للحق، وهذا العمل لا يكون إلا بمواجهة النبي ﷺ لأمته بما جاء به، وطلبه منهم الخضوع، ونبذ ما هم عليه أبدا.

ومن أمثلة شجاعتهم ما ذكره الله تعالى في قصة أهل القرية الذين أرسل سبحانه وتعالى- الرسل لهدايتهم إلى طريق الحق، حيث تظهر شجاعتهم في دخولهم القرية، ومجادلتهم مع أهلها، وعرض رسالتهم عليها، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[3]، كما تظهر لنا أيضا في موقف صاحب القرية الذي واجه أهله بالدعوة إلى دين الله قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4]، فأهل القرية لما هموا بقتل الرسل، جاء مؤمن آل يس أو صاحب القرية من أطراف المدينة يعدوا مسرعا، وتشجع وأعلن إيمانه بهؤلاء الرسل أمامهم حتى قتل.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا منها ماجاء ذكره في القرآن الكريم من قول نوح عليه السلام لقومه : ﴿يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِي﴾[5]، وهكذا فالإيمان بالله عز وجل يقف على قمة البواعث على الشجاعة.

---

(1)-التوبة، الآية: 111.

(2)-غافر، الآية: 51.

(3)-يس، الآية: 15.

(4)- يس، الآية: 20-21.

(5)-يونس، الآية: 71.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الثبات

نعني بالثبات الاستقامة على الهدى، والتمسك بالتقوى، وإلجام النفس، وقسرها على سلوك طريق الحق والخير، وعدم الالتفات إلى صروف الهوى والشيطان، ونوازع النفس والطغيان، كما انه يعني الاستمرار في طريق الهداية، والالتزام بمقتضيات هذا الطريق، والمداومة على الخير، والسعي الدائم للاستزادة، ومهما فتر المرء، فهناك مستوى معين لا يقبل التنازل عنه أو التقصير فيه.

وللثبات جوانب معينة منها:

1-الثبات على دين الله: تبارك وتعالى، ومنه قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

2-الثبات على الالتزام لدين الله تعالى: وهذا جانب مهم يدل على سلامة إيمان الشخص، وصحة تصوره لهذه الدار وللدار الآخرة.

إن الأمل والأمن والرضا والحب والسكينة النفسية، ثمار شهية لغرس العقيدة في نفس المؤمن، وذخائر لا تنفذ لإمداده في معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف محفوفة بالأخطار والمشقات، ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه أمل.

وإذا كان هذا سنة الله في الحياة العامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضا لنكبات الدنيا وويلاتها، فالناظر إلى حال الأنبياء-خاصة أولي العزم منهم – يجد صورة الثبات الرائعة القوية، فهذا إبراهيم عليه السلام يؤمن له إلا قليل من قومه وعاداه منه أقرب المقربين، وألقي في النار، وأمتحن بالأمر يذبح ابنه بكره إسماعيل، ولم تزده تلك المحن إلا ثباتا على الحق[2].

---

[1]-البقرة، الآية: 132.

[2]-عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط3، (بيروت: لبنان، إحياء التراث العربي، د.ت)، ص101.

وهذا رسول الله موسى عليه السلام يواجه من قبل اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، بأعظم ما يواجه به نبي من الأنبياء من تكذيب وإعراض وسخرية واتهام، فلم يزده ذلك كله إلا ثباتا وقوة وعزما[1].

وقصة الرسل ومؤمن آل يس خير مثال على الثبات، فقد واجه أهل القرية، ودعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام والأوثان فعذبوا أشد العذاب ثم قتلوا، ورغم ذلك فقد ثبتوا على الحق.

كما أن الناظر لسيرة رسولنا ﷺ يعلم عظم ثباته وقوة يقينه، وقد ثبت النبي ﷺ ثباتا عظيما، لذلك فالثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد.

ولا شك عند كل ذي لب أن حاجة المسلم اليوم لوسائل الثبات أعظم من حاجة أخيه يوم السلف، والجهد لتحقيقه أكبر لفساد الزمان، وضعف المعين، وكثرة الشهوات والمغريات.

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعا، وأسرعهم انهيارا أمام الشدائد هم الملحدون المرتابون وضعاف الإيمان، ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر ما يكون في البيئات التي ضعف دينها أو فقدته، فإن لم يكن الانتحار فهو الألم القاتل والجزع الهالع والكآبة الحزينة.

[1]–عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص 299.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر

تمهيد

المبحث الأول: اليوم الآخر حاجة الناس إليه، وأطواره

المبحث الثاني: دلائل البعث

المبحث الثالث: أثر الإيمان باليوم الآخر في الفرد والمجتمع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

الإيمان باليوم الأخر أصل من أصول العقيدة الإسلامية بعد الإيمان بالله، وركيزة عظيمة من ركائز الدين، وهو من صميم الغيبيات التي لا يستطيع العقل إدراكه إلا بنص صريح لأنه محجوب عن الحس والمشاهدة، ولا وجود له إلا في علم الله تعالى وحده.

وسورة يس واحدة من السور المكية التي تتناول بعض أحواله، وأهواله بدءا من النفخ في الصور، فالبعث، فالحساب، فالجنة أوالنار، كما تتناول استنكار المشركين أمر البعث والحساب والموت والبلى، فترد عليهم أبلغ الرد من خلال توجيه أنظارهم إلى آثار قدرة المولى ﷻ في الأنفس والآفاق.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول حاجة الناس إلى اليوم الأخر وأهم أطواره، وتناولت في المبحث الثاني دلائل البعث في السورة وختمت الفصل بمبحث ثالث، بينت فيه أثر الإيمان باليوم الآخر في الفرد والمجتمع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: اليوم الآخر حاجة الناس إليه وأطواره

المطلب الأول: حاجة الناس إلى اليوم الآخر

أولا: الحاجة الفطرية النفسية

النزوع إلى الخلود، إحساس شائع في الأمم والشعوب منذ أقدم العهود ، وهذا الشعور النفسي الغريزي من أقوى الأدلة على وجود عالم أخر بعد الموت[1]. قال تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

والمعنى وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقتي وحده لا شريك له، إذ إليه ترجعون يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم الدنيوية إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[3].

فنجد في كلام مؤمن آل يس رغبة وتطلع إلى عالم غير هذا العالم الدنيوي، إليه مرد ومرجع كل الناس، عالم يأخذ فيه كل ذي حق حقه، فالمظلوم يأخذ جزائه، والظالم يقتص منه.

ثانيا: العدالة الإلهية

ينظر الإنسان فيما حوله فيرى العالم يتجاذبه الخير والشر يتصارعان، وقد ينتصر الشر على الخير، وتعلو الرذيلة والفضيلة، والفرد في عمره المحدود يعز عليه أن لا ينال الخير أجره، والشرير جزاؤه[4]، فيفوض أمره إلى الخالق الذي قضى وجود يوم آخر، يأخذ فيه كل إنسان جزاؤه، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

---

(1)-وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص82.

(2)-يس، الآية: 22.

(3)-ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج5، ص618.

(4)-عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، ط27، (بيروت: دار العلم للملايين، 1988)، ص125.

(5)-يس، الآية: 54.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعنى: أنه في يوم القيامة لا تظلم نفس شيئا سواء أكانت من الأبرار أم من الفجار، بل كل يجازى حسب عمله في الحياة الدنيا[1]، حيث أنه لا يتصور أبدا أن المحسن المطيع الذي لم يأخذ أجره في الحياة الدنيا يخسره في الآخرة، فالله تعالى يُمهل ولا يُهمل، وسيحاسب كل إنسان ويجازيه وإن كان مثقال حبة من خردل.

المطلب الثاني: أطوار اليوم الأخر

بعد انتهاء أشراط الساعة الكبرى والصغرى، يبدأ ما يسميه القرءان الكريم بـ(اليوم الأخر)، ويكون مصاحب لأحداث رهيبة ومتنوعة، من نفخ في الصور، وبعث، وحساب، وينتهي بدخول الناس إلى الجنة أو النار .

وفيما يأتي سنحاول تسليط الضوء على بعض هذه الأطوار المذكورة في سورة يس:

أولا-النفخ في الصور

النفخ في الصور أول مشاهد يوم القيامة، يقوم فيه العباد لرب العالمين، وفيه يصدق المرسلون، ويقول الكافر: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[2].

وقبل الخوض في الكلام عن الصور، لابد من التعريج على تعريف النفخ والصور لأن فهم الشيء فرع عن تصوره.

والنفخ في الاصطلاح، وكما جاء في الكتاب والسنة، هو نفخ مخصوص من ملك مخصوص لما يريده الله تعالى[3].

---

(1)-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج23، ص942.

(2)-يس، الآية: 42.

(3)-ناصر بن علي عايض حسن الشيخ: مباحث العقيدة في الزمر، ص552.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأما معنى الصور، فقد ورد في صحيح البخاري عن مجاهد[1] أنه قال: «الصور كهيئة البوق»[2]، كما روي أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص[3]، رضي الله عنهما: أنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «ما الصور قال: قرن ينفخ فيه»[4].

ولذلك فالصور هو قرن كالبوق، ينفخ فيه ملك من الملائكة حين يأذن الله تعالى بقيام الساعة.

ومن الآيات الدالة دلالة صريحة على النفخ في الصور قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[5]. وقوله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[6]. وقوله أيضا: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[7].

والمتتبع لمجموع الآيات السابقة يجد أن النفخ في الصور يقع في ثلاث مرات[8]:

---

(1)-مجاهد بن جبر: هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزون تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: هو شيخ القراء و المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في الأمصار واستقر في الكوفة، (21هـ-104هـ/642م-722م)، ويقال إنه مات وهو ساجد، أنظر: الزركلي: الأعلام، ج5، ص678. الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص676.

(2)-أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب: نفخ الصور، حديث رقم: 43، ج8، ص193.

(3)-عبد الله بن عمرو بن العاص: هو عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه واستأذن النبيﷺ في كتابة ما يسمع منه، فأذن له رسول اللهﷺ وقال: «قد حفظت عن رسول اللهﷺ ألف مثل، وكان عالما متعبدا. انظر: جمال الدين بن الجوزي: صفة الصفوة، ط1، (بيروت: دار الجيل، (1412هـ-1992م))، ص278. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص79-80.

(4)-أخرجه الترمذي: السنن، أبواب صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور، ط1، (د.ب: مطبعة الصاوي، (1353هـ-1934))، ج1، ص260-261. أخرجه أحمد: المسند، ج2، ص 192، قال أبو عيس هذا حديث حسن وقد روي غير واحد.

(5)-يس، الآية: 49.

(6)-يس، الآية: 51.

(7)-يس، الآية: 53.

(8)-وقد وقع خلاف بين العلماء في عدد مرات النفخ في الصور على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها نفختان، وبه قال القرطبي.

القول الثاني : أنها ثلاث نفخات، وبه قال ابن كثير

القول الثالث: أنها أربع نفخات، وبه قال ابن حزم الأندلسي.

انظر : القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى، ت: السيد الجميلي، ط1، (بيروت: القاهرة، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي، (1400-1986م))، ج1، ص225.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالمرة الأولى: وهي نفخة الفناء والهلاك تحدث عند نهاية الدنيا، والناس يختصمون في أسواقهم، قال جل وعلا: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[1]، والمعنى أن هذه النفخة تأخذ الناس وهم يبيعون ويشترون في أسواقهم، وفي مجالسهم العامة والخاصة إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون[2].

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن الساعة والرجل يليط[3] حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة، وقد انصرف الرجل بلبن نعجته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة، وقد رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمه»[4].

والمرة الثانية : هي نفخة البعث من القبور أحياء قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[5]. والمعنى: أن صاحب الصور ينفخ النفخة الثانية، فيذهب كل روح إلى جسده، فإذا الناس يخرجون من القبور مسرعين إلى ربهم للحساب، ونيل الثواب أو العقاب[6].

والمرة الثالثة: هي نفخة الوقوف بين يدي الرحمن قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[7].أي ماهي إلا صيحة واحدة للملك، فإذا الكل واقف بين يدي الله تعالى ليحاسب على ما اقترفه من أعمال في الحياة الدنيا[8].

فدلت بذلك هذه الآيات من سورة يس على النفخ في صور كأول مرحلة من مراحل اليوم الآخر.

---

(1)-يس، الآية: 49.

(2)-أبو بكر جابر الجزائري : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط4، (1412هـ-1992م))، مج4، ص384.

(3)-يليط حوضه: أصلح وطين حوضه

(4)-أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم: 93، ج8، ص190.

(5)-يس، الآية: 51.

(6)-القرطبي: تفسير القرطبي، ج15، ص39-40.

(7)-يس، الآية:53.

(8)-أبو بكر جابر الجزائري: المرجع السابق، ص394.

ثانيا: البعث

البعث هو إحياء الله تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم، وهم أحياء للحساب والجزاء[1]، بحيث لا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى لأنها من عالم الغيب الذي يختلف كل الاختلاف عن النشأة الأولى[2].

وقد دلت سورة يس على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان ببعث الأجساد الدنيوية، وإعادتها بعينها روحا وجسدا، وردت على منكريه الذين استبعدوا إعادة أجسادهم بعد أن تصبح عظاما بالية، وأشلاء متفرقة، أبلغ الرد، وبينت إمكانه وثبوت وقوعه، ووصفته كأنه قد وقع، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3].

وقال أيضا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[4].

وسنبدأ الحديث عن آية الرد على منكريه والمتمثلة في قوله جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[5].

فالإنسان نسي أن الله تعالى قد أنشأه من نطفة حقيرة مهينة، فالذي أوجدها من العدم فالإعادة أسهل وأهون عليه[6].

وقد أورد القرءان الكريم في سورة يس أدلة متنوعة على إمكانية البعث مستدلا عليه بالحس والعقل، وهذا ما سأحاول تفصيله لاحقا.

---

[1]-مصطفى عبد الواحد: الإيمان في القرآن، ط1، (دب: دار الصحوة للنشر، (1407هـ-1987م))، ص173.

[2]-السيد السابق: العقائد الإسلامية، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الفكر، (1398هـ-1978م))، ص269.

[3]-يس، الآيتان: 78-79.

[4]-يس، الآيات: 51-53.

[5]-يس، الآيتان: 78-79.

[6]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص58.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما آيات وصف البعث كما قد لو وقع، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[1].

فالمفاجأة تأخذ المشركين والكافرين، لأنهم كانوا لا يتوقعون نشورا أبدا، فيفزعهم البعث، ويتنادون بالويل، ويأخذهم العجب من تلك اليقظة التي أخرجتهم من هذا النوم الطويل، فما كانت إلا صيحة واحدة، أخرجتهم من قبورهم، ثم جمعتهم في المحشر بين يدي الرحمن[2].

فدلت بذلك هذه الآيات من السورة على مرحلة البعث يوم القيامة، وعلى إمكانية ذلك، كما دلت الأحاديث النبوية الشريفة، أن محمد صلى الله عليه وسلم سيكون أول من يخرج من قبره، قال النبي ﷺ: «يصعق الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام، فإذا موسى أخذ بيد العرش، فما أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله»[3].

ثالثا: الحساب

والحساب هو اطلاع الله عباده قبل انصرافهم من أرض المحشر على كل ما قد جنوه في حياتهم الدنيا، من تصرفات فعلية وقولية واعتقاديه، خيرا كانت أو شر، وتتمثل الحكمة من ذلك في إظهار المولى تبارك وتعالى فضائل المتقين ومناقبهم، وفضائح العصاة ومثالبهم[4]، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[5]، وكيفيته لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، لأنه لم يرد من النصوص ما يدل عليه، فالواجب التوقف فيها .

---

[1]-يس: الآيات: 51-53.

[2]-عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج23، ص:941

[3]-أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب: النفخ في الصور، حديث رقم: 104، ج8، ص194.

[4]-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص585. حسن أيوب: رحلة الخلود، ط1، (القاهرة: دار السلام، (1423هـ-2003م))، ص129.

[5]-الحاقة، الآية: 18.

وقد جاء ذكر مرحلة الحساب في سورة يس في العديد من الآيات القرءانية، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1]. وقوله أيضا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]. و قوله أيضا: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

فهذه الآيات من السورة دلت على إثبات الحساب على الأعمال يوم القيامة، وأن ذلك الحساب سيكون طبقا لأفعال الإنسان التي قدمها طيلة حياته الدنيوية.

ومن أجل إقامة الدليل على الكفار والعصاة أثناء مناقشتهم الحساب، فالمولى تبارك وتعالى يأتي لهم بوسائل الإثبات التي تدينهم، ومن أهم تلك الوسائل كتب الأعمال أو الصحف، وشهادة الإنسان على نفسه.

وسنبدأ الحديث عن أول هذه الوسائل إ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، والمعنى : أن كل شيء من أعمال العباد سواء اعتقادات وأفعال أو أقوال- كائنا ما كان أثبته الله وحفظه في كتاب موضح فيه كل شيء، وقيل المراد به اللوح المحفوظ الذي تثبت فيه جميع الحقائق[4]، وعبارة (مبين) إشارة إلى وضوح اللوح المحفوظ، وكتاب الأعمال نظرا لأنه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من الأعمال الصالحة أو السيئة إلا أحصاه.

وأما الوسيلة الثانية فتتمثل في شهادة أعضائه التي تنطق بإذن الله وقدرته، شاهدة عليه، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5]، والمعنى: أن الله تعالى في يوم القيامة يختم على أفواه الكفار ختما يمنعها عن الكلام، وتنطق عليهم أيديهم، وأرجلهم بأعمالهم القبيحة[6].

---

(1)-يس، الآية: 12.

(2)-يس، الآية: 54.

(3)-يس، الآية: 65.

(4)-عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، ج3، ص12.

(5)-يس، الآية: 65.

(6)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص22.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولنا أن نتخيل صعوبة ذلك الموقف، فالناس يقرءون في صحفهم التي يؤتونها بعد البعث، ويحاسبون عليها محاسبة شديدة، بحيث أن هذه المحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس لا يكونون ذاكري لأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1]، وتجدر الإشارة هنا أن تسجيل الأعمال من الأمور التي ثبتت ثبوتا علميا، فما من صوت من الأصوات، أو حركة من الحركات إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود[2].

وتبلغ دقة الحساب منتهى لا يمكن تخيله، قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[3]، فكل فرد أو شخص يأخذ جزاء عمله خيرا كان أو شر، وسواء أكان فعله ممارسا بالفعل، أو أنه نواه أو أصر عليه، ذلك فتقام موازين القسط حتى يتحقق العدل الإلهي[4]، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5]، فكل نفس يوم القيامة لا تظلم أبدا سواء أكانت من الأبرار أم من الفجار، فيكافأ كل إنسان حسب عمله في الحياة الدنيا، وقد دل الخبر الإلهي أن هذا الحساب هو من أعظم ما يراه الإنسان من أحداث يوم الجزاء، حتى أنه سمي بيوم الحساب[6].

وهكذا دلت الآيات من السورة على إثبات الحساب على الأعمال يوم القيامة[7].

رابعا: الصراط

بعدها يذكر الله تعالى مرحلة المرور على الصراط المستقيم، ويطلق في اللغة ويراد به الطريق الواضح[8]، وهو مأخوذ من سرطت الشيء إذا ابتلعته- بالصاد والسين- لأنه يبلع

---

(1)-المجادلة، الآية:6.

(2)-السيد سابق: العقائد الإسلامية، ص285.

(3)-أخرجه الترمذي: كتاب القيامة، حديث رقم:1، ج9، ص253، قال الترميذي: هذا حديث حسن صحيح.

(4)-السيد سابق: المرجع السابق، ص286.

(5)-يس، الآية: 54.

(6)-انظر: عفيف عبد الفتاح طبارة: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص35. محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص348.

(7)-محمد سعيد رمضان البوطي: المرجع نفسه، ص348.

(8)-ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص2432.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المارة[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[2].

وأما معناه في الاصطلاح فيطلق على معنيين :

أحدهما في الدنيا: وهو المنهج الذي شرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه والتزامه – وهو الموافق للمعنى اللغوي المذكور آنفا-.

والثاني في الآخرة: وهو جسر ممدود على متن جهنم يسلكه الناس مؤمنهم وكافرهم، حيث يجتازه المؤمن إلى الجنة، والمقضي عليهم بالعذاب يهوون في النار[3].

وقد ثبت الصراط في سورة يس في ثلاثة مواضع: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]، وقوله : ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[5]، و قوله أيضا: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾[6]. فبالنسبة لقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، والمعنى : إنك يا محمد على طريق ونهج مستقيم لا انحراف ولا اعوجاج وهو دين الإسلام[7].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذه العبادة لله وحده هي الدين الصحيح والطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فهو طريق بليغ في استقامته[8].

فنجد أن الصراط في هاتين الآيتين جاء بمعناه الدنيوي الذي يعني المنهج الذي شرعه الله لعباده، في حين أن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى

---

[1]-الفيروزابادي: القاموس المحيط، ج2، مادة: سرطه، ص363.

[2]-الأنعام، الآية: 153.

[3]-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص:590

[4]-يس، الآيتان: 3-4.

[5]-يس، الآية: 61.

[6]-يس، الآية: 66.

[7]-محمود محمد حمزة وآخرون: تفسير القرآن الكريم، ج22، ص133-134.

[8]-عفيف عبد الفتاح طباره: تفسير روح القرآن الكريم، ج23، ص37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يُبْصِرُونَ﴾[1]، يحتمل المعنيين:

فقد فسر ابن عباس الصراط في الآية الكريمة على أنه طريق الحق[2]، بينما يذهب أغلب المفسرين إلى تفسيره على أنه الجسر الممدود على متن جهنم[3].

وإليك ما قاله أبو حامد الغزالي ذاكرا وجه العلاقة الرابطة بين الصراط المستقيم بمفهومه الدنيوي والآخروي، قال: «هو جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم بمعناه الدنيوي أي المنهج الذي شرعه الله لعباده خف على صراط الآخرة ونجا، أما من عدل عن الاستقامة في الدنيا، وأثقل ظهره بالأوزار والمعاصي تعثر على صراط الآخرة»[4].

وقد أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه أول من سيمر على هذا الصراط فقال: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل»[5]، كما قد وصف لنا مرور الناس عليه في يوم القيامة فقال: «يمر الناس على جسر جهنم، وعليك حسك وكلاليب، وخطاطيف، تختطف الناس يمينا وشمالا، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجرى، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبوا حبوا، ومنهم من يزحف زحفا»[6].

خامسا: الجنة والنار

جعل الله للحياة الآخرة دارين، دار للنعيم اسمها الجنة، ودار للعذاب اسمها النار، وهما العاقبة النهائية التي ستنتهي إلى إحداهما العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ

---

(1)-يس، الآية: 66.

(2)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج3، ص28.

(3)-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص49-50.

(4)-إحياء علوم الدين، د.ط، (د.ب: دار الكتاب العربي، د.ت)، مج6، ج5، ص51.

(5)-أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب: قول اله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه، حديث رقم: 65، ج9، ص229. وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: 182، ج1، ص163-164.

(6)-أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: 316،ج1، ص178، وأخرجه أحمد في مسنده، مج3، ص11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾(1). وقال أيضا: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(2).

و لنبدأ الحديث عن الجنة ونعيمها:

1-الجنة ونعيمها:

الجنة في اللغة هي البستان من النخيل أو الشجر، وهي مأخوذة من جن إذا ستر(3)، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقات، وأشجارها المورقة، تلتف أغصانها بعضها ببعض، فتظلل وتستر ما تحتها، والمقصود بها هنا هي الدار والمقام التي أعدها الله للمتقين جزاء إيمانهم وعملهم الصالح في الحياة الدنيا(4).

والجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل الذي أعده الله لأوليائه، وأهل طاعاته، وهي نعيم تام لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، ونعيمها يفوق الوصف والخيال، ولا يمكن تشبيهه بنعيم الدنيا أبدا(5)، واستمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(6).

وقد جاء ذكر بعض هذه النعم في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾(7).

---

(1)-يس، الآيات: 55-58.

(2)-يس، الآيتان: 63-64.

(3)-انظر: ابن منظور: لسان العرب،ج1، مادة جنة،ص:706. ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ط4، (مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صابيح وأولاده، (1381هـ-1962م))، ص86.

(4)-السيد سابق: العقائد الإسلامية، ص301.

(5)-وانظر: عمر سليمان الأشقر: اليوم الأخر(الجنة والنار)، ط2، (الجزائر: قصر الكتاب، (1411-1991))، ص117. المرجع نفسه، ص147

(6)-أخرجه الدارمي: كتاب الرقاق، باب: ما أعد الله لعباده الصالحين، حديث رقم: 2831، ج2، ص241.

(7)-يس: الآيات: 55-58.

و يمكننا تقسيمها إلى ما يأتي:

شغل أهل الجنة:

والشغل هو النعيم الذي شغل أهل الجنة عن كل ما قد يخطر بالبال، وروي عن ابن عباس قوله: «شغلوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار عن أهليهم في النار»[1]، وغيرها من اللذات الأخرى كالأكل والشرب.

أزواج الجنة:

أزواج الجنة هم نساؤها، فالمؤمن إذا دخل الجنة، فإن كانت زوجته في الدنيا صالحة، فإنها ستكون زوجته في الجنة، والله سبحانه وتعالى يزوج المؤمنون بزوجات غير اللواتي في الدنيا، وهم الحور عين، ولهم منظر حسن بديع[2].

ظلال الجنة:

من المعلوم أن ظلال الأغصان هي أجمل وأروع من أي ظلال أخرى، فهي ليست كمثل ظلال الخيام، والغرف المظلمة،، إنما هي ظلال لها جمال خاص، حيث تعمل الأوراق على تلطيف الظل، وهذه الظلال دائمة في الجنة، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، فقال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة»[3].

أرائك الجنة:

و الأرائك واحدها أريكة، وهي السرر، حيث أعدت قصور الجنة، أماكن للجلوس بألوان فاخرة، رائعة من الفرش للجلوس والاتكاء، والتي منها الأرائك، وإن بطانة هذه الفرش من أفخر الأقمشة في الدنيا[4].

---

(1)-ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج3، ص575.

(2)-عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، ص 245.

(3)-أخرجه البخاري: كتاب ما جاء في تفسير القرءان، باب: قوله وظل ممدود، حديث رقم 3742،ج6، ص258-259، وأخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الظل وما يستر أغصانه، حديث رقم2826،ج4،ص2175.

(4)-عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق، ص238.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فاكهة الجنة

و ثمار الجنة عديدة ومتنوعة، بحيث يختار المؤمن منها ما يريد ويشتهي، وقد أخبرنا الله تعالى عنها أن فيها العنب والنخل والرمان، و. لى غير ذلك من الفواكه، وإن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فماهي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها[1].

السلام في الجنة:

ذكر الله تعالى أنه أعد لأهل الجنة ماهو أعظم نعيما ولذة منها وهو التمتع برؤية الله تعالى ووجهه الكريم الذي يغمر الوجوه نظارة وإشراقا، فهذا نعيم ليس بعده نعيم وليس بعده سعادة[2]، وقد جاء في الحديث عن ذلك: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع عليهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[3]، قال فينظرون إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه، حتى يحجب عنهم، ويبقى نوره، وبركته عليهم في ديارهم»[4].

2-جهنم وجحيمها

لما كان الله تعالى يكافئ الأبرار بالجنة ونعيمها، فإنه يجازي الفجار بالجحيم، عقابا لهم على ما اقترفوه من كبائر وصغائر في الحياة الدنيا.

فجهنم هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه ومنهاجه، المكذبين لرسله وأنبيائه، وهي الخزي العظيم، الذي لا خسران أعظم منه[5]، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[6].

---

(1)-محمود شلبي: حياة أهل الجنة د.ط، (بيروت: لبنان، دار الجيل، د.ت)، ص185.

(2)-عبد اللطيف بن عاشور: نعيم الجنة في القرءان والسنة، د.ط، (بيروت: لبنان، دار الجيل، د.ت)، ص24.

(3)-يس، الآية: 57.

(4)-أخرجه ابن ماجه: السنن، كتاب المقدمة، باب: حديث رقم: 183، د.ط، (د.ب: دار الفكر، دت)، مج1، ص65-66.

(5)-عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر، ص 11.

(6)-آل عمران، الآية: 192.

وأطلق القرءان الكريم على هذا اليوم أسماء كثيرة : منها السعير، الجحيم، الهاوية، سقر، الحطمة، كما قد وصفها الله جل وعلا وصفا تشيب منه النواصي، وتتخلع منه القلوب، فذكر أن وقودها الناس والحجارة[1].

وذكر المولى تبارك وتعالى النار في سورة يس، وسماها جهنم، فقال: ﴿هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]، والمعنى أن خزنة جهنم تقول هذه النار التي وعدتكم فكذبتم بها فادخلوا إليها وذوقوا حرها اليوم بسبب كفركم بالله وعدم تصديقكم لرسله في الدنيا[3].

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الإنس والجن والأولين والآخرين على صعيد واحد ثم أشرف عليهم عنق من النار على الخلائق، فأحاط بهم ثم ينادي مناد (هذه جهنم التي كنتم بها توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)، فحينئذ تجثوا الأمم على ركبها، وتضع كل ذات حمل حملها، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»[4].

---

(1)-السيد سابق: العقائد الإسلامية، ص291.

(2)-يس، الآيتان: 63-64.

(3)-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15،ص47.

(4)-أخرجه الترمذي: كتاب جهنم، باب: صفة جهنم، رقم الحديث: 1، دط، (مصر: مطبعة الصاوي، (1353هـ-1934م))، ج3، ص43-44. أحمد بن حنبل، ج2، ص336.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: دلائل البعث

قضية بعث الأجساد بعد موتها من المسائل الخطيرة التي شغلت الفكر البشري منذ القدم إلى وقتنا المعاصر بين مؤيد ومعارض لها، وقد اهتم القرءان الكريم في سورة يس بهذه المسألة اهتماما بالغا من خلال الرد على هؤلاء الجاحدون بالحجة المفحمة، والبرهان الساطع، مبينا تهافت الشبهات التي تمسكوا بها.

وسنحاول في هذا المبحث معرفة هذه الفرية الواردة في سورة يس؟، وكيف كان الرد القرءاني عليهم؟

المطلب الأول: منكرو البعث

عرفت البشرية في تاريخها الطويل أمما أنكرت البعث من الدهريين والفلاسفة الطبيعيين وأصحاب العقائد الوثنية، ويمكننا تقسيم هؤلاء إلى ثلاث فرق رئيسة:

الفرقة الأولى: هم الذين يجمعون بين إنكار الخالق، وإنكار البعث، وهؤلاء هم الوجوديون الماديون، وليس لهؤلاء من حجة إلا أن يقولوا كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الجاثية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(1).

الفرقة الثانية: وهم قسم من الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يشركون به، وينكرون البعث، ومن هذا القسم المشركون الوثنيون من العرب الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾(2).

الفرقة الثالثة: وهم قسم من الذين يعترفون بوجود الخالق ووحدانيته، ولا يشركون معه أحدا، ولكنهم ينكرون البعث الجسدي، ويثبتون الحياة الثانية بشكل روحاني فقط(3).

---

(1)-الجاثية، الآية: 24.

(2)-ق، الآيتان: 2-3.

(3)-انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص:571-572

ويصور لنا القرءان الكريم من خلال سورة يس أحد دعاوي القوم في إنكار إمكانية عودة الأجساد إلى الحياة من جديد، فيقول: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[1].

وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آنفا، أنها نزلت في العاص بن وائل عندما جاء إلى رسولنا الأمين محمد ﷺ حاملا عظما حائلا بين يديه، وسأله: «يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعدما أرم قال: نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار»[2].

فساق لنا هذا الكافر مثلا يجحد به قدرة الله تعالى على إعادة الموتى إلى الحياة، وقرن ذلك بدليل ملموس في نظره – فهذا العظم الذي يتفتت بين أصابعه، كيف لله أن يبعثه بعد هذا البلى ولم يكن هذا التكذيب بجديد على كفار العرب زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا منذ القدم يجحدون البعث وينكرونه، وقد سجلت لنا أشعارهم ذلك من خلال قول قائلهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو[3]

ونجد أن هذه الشبهة قد تكررت كثيرا في مواطن عديدة من كتاب الله تعالى، وتكرار تلك الأقوال في مقامات مختلفة لمما يثبت خطورة الانحراف أولا، ومدى تعلق المنكرين بشبههم ثانيا.

والسؤال المطروح: ماهو فحوى هذه الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون؟

ويجيبنا ابن قيم الجوزية من خلال كتابه (الفوائد) فيقول:

أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص أخر

الثانية: أن القدرة لا تتعلق بذلك، أي أن الله ليس بقادر على بعث الأجساد بعد الموت.

---

(1)-يس، الآية: 78.

(2)-أخرجه الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، يس، ج2، ص429.

(3)-وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، د.ط، (بيروت: دار النفائس، 1982)، ص42.

الثالثة: أنه ليس من وراء بعث الأجساد فائدة، بل إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئا فشيئا هكذا أبدا كلما مات جيل خلفه جيل آخر[1]، فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه بعد ذلك فلا حكمة واردة في ذلك.

وفي العصر الحديث، ذهبت بعض المذاهب والتيارات الفكرية من وجودية، مادية، ووضعية، والحادية إلى إنكار كل ماهو غيبي متجاوز للمادة[2]، ومن ثم فلا حقيقة ولا موجود إلا ما يمكن معرفته بالحواس، وما يثبت بالتجربة، وماعدا ذلك فهو من الخرافة والوهم، ولما كان البعث من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، فقد أنكروه، فالماركسية مثلا تقوم في أساسها على أن المادة أزلية بلا بداية ولا نهاية، وأنها محكومة في حركتها وثباتها بمجرد قوانين تنتظم صور الحياة فيها على أساس جدلي محض، ويترتب عن ذلك أن ليس هناك حياة أخرى وراء هذا الكون المادي، غير أن هذا الاتجاه ما لبث أن أبطله تطور العلوم الطبيعية، والكونية، فأصبح الاعتقاد السائد اليوم أن المادة ليست أزلية، بل لها بداية، ولا بد أن تكون لها نهاية[3]، ورغم ذلك لازال الكثير منهم ينكر البعث، يقول، ر.مايلر: «البعث بعد الموت حقيقة تمثيلية، وليس بحقيقة لفظية»[4].

ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد من مجرد الإنكار القولي لعقيدة البعث، بل راحوا يلهثون وراء حلم الخلود بكل ما أوتوا من علم وقوة، متحديين بذلك المشيئة الربانية، وصرفوا من مواردهم ملايين الملايين ليزيدوا من عمرهم أياما، وهم لا يعلمون أن الأجل إذا جاء لا يؤخره شيء ولا يقدمه شيء أخر قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5].

غير أن كل تلك المحاولات العلمية في كل المجالات باءت بالفشل وفي ذلك يقول ألكسيس كاريل: «إن الإنسان لن يسأم أبدا من البحث عن الخلود، والسعي وراءه، مع أنه لن

---

(1)-الفوائد: د.ط، (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت)، ص14.

(2)-عبد المجيد النجار: منهجية البحث في الفكر الإسلامي، ط1، (بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص121-122.

(3)-وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص116.

(4)-المرجع نفسه، ص147.

(5)-النحل، الآية:61.

يظفر إلى الأبد، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة، إنه لا يستطيع أن يوقف الزمن (الفسيولوجي) لأعضاء الجسد، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة، ولكنه لن يتغلب على الموت أبدا»[1].

فكيف كان منهج كتاب الله في الرد على هؤلاء الجاحدون لهذه الحقيقة الغيبية العظيمة؟

المطلب الثاني: دلالات السورة على البعث

دعا القرءان الكريم في سورة يس في استدلاله على البعث الإنسان ليتأمل فيما يتكرر وقوعه أمامه في كل زمان ومكان من دلائل قدرة المولى تبارك وتعالى المنبثة في الأنفس والأفاق الدالة على قدرته على إحياء الموتى.

ومن هذه الدلالات المستخلصة من السورة ما يأتي:

أولا : دلالة خلق الإنسان

وتتمثل هذه الدلالة في كون الذي أوجد الإنسان، وخلقه بعد أن لم يكن شيئا، ونقله من مرحلة إلى أخرى، وجعله ينتقل في أطوار خلقه من نطفة مهينة ثم حولها إلى مخلوق يتحرك في بطن أمه بعد نفخ الروح فيه، ليصبح خلقا أخر، ثم يكتمل نموه داخل الرحم، ليخرج بعد ذلك إنسانا سويا، أليس ذلك بقادر على إعادة خلقه وبعثه من جديد، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[2].

والمعنى أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلقه من سلالة ماء مهين، فخلقه من شيء حقير، فالذي قدر على هذا الخلق، أليس بقادر على إعادته بعد موته[3].

[1]–الإنسان ذلك المجهول، تر: شفيق أسعد فريد، ط1(بيروت، مكتبة المعارف، (1423هـ–2003م))، ص194.

[2]–يس، الآية: 77.

[3]–ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، مج3،ص571.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكيف يستغرب هذا الإنسان من إمكانية عودته إلى الحياة مرة ثانية، وفي خلقه الكثير من الأعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، ولو نظر الإنسان في خلقه الأول، لتذكر حقيقتين اثنتين:

الأولى : أن وجوده ممكن، فقد كان ممكنا أن لا يوجد أصلا، ومادام وجوده أو استبداله بغيره أمران لا دخل له فيهما، فكذلك بعثه، وكما أخرج إلى هذه الدنيا من غير توقف على إيمانه بوجودها، سيبعث من غير أن يتوقف بعثه على إيمانه بوجود الحياة الأخرى.

وأما **الثانية**: أن بدايته الأولى كانت بداية مهينة، وهذه البداية وكما ذكرنا سابقا هي النطفة قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[1].

ولا يرتاب في البعث فعلا إلا من تناسى خلقه الأول، ولا سيما أن الإنسان عندما تطول مدة إقامته في هذه الحياة، ينسى خلقه الأول، وينسى أنه منذ سنوات لم يكن شيئا، فيقس البعث على مألوفه فيستغربه، لذلك فالقرءان الكريم يشده إلى البداية دائما، فيستعرض المراحل التي تمتد بين كونه نطفة وبين كونه إنسانا سويا[2].

ولو نظر الإنسان إلى هذه النطفة الحقيرة وقارن بينها وبين خلقته السوية التي هو عليها الآن، فسيعلم علم اليقين أن الذي أوجدها من العدم، بقادر على بعثه من جديد.

ثم في نفس سياق الآية السابقة، يجيب المولى سبحانه وتعالى المنكر للبعث، وإعادة الحياة للعظام النخرة البالية بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3].

والمعنى: أي قل يا محمد تخريسا وتبكيتا لهذا الكافر ز أمثاله، أن الذي خلقها وأوجدها من العدم، وأبدع خلقها أول مرة من غير شيء، قادر كذلك على إعادتها من جديد،

---

(1)-يس، الآية: 77.

(2)-محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرءان الكريم والعلم الحديث، ط3، (مصر: دار السلام، (1424هـ-2004م))، ص393.

(3)-يس، الآية: 79.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالذي قدر على البداءة، قادر على الإعادة[1]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

فاحتج تعالى بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل العقول تدرك بداهة أن الذي قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية، لكان عن الأولى أعجز واعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بكل تفاصيل خلقه، فقد أتبع ذلك بقوله: (وهو بكل خلق عليم)، فالله سبحانه وتعالى عليم بالخلق الأول، بتفاصيله، وجزئياته، وصوره، وكذلك بالنسبة للخلق الثاني، فهو عليم به، وبكل تفاصيله ومواده، وكيفية إنشائه، فكيف يتعذر عليه – وهو تام العلم وكامل القدرة أن يحيي العظام وهي رميم[3].

والمتأمل في شبهات منكري البعث في القرءان الكريم يجدهم يركزون الطعن في قدرة الله تعالى، لذا نجد كتاب الله يرد على هذه الشبهات من خلال التأكيد على قدرته تبارك وتعالى وعلمه. ولذلك فالذي خلق الإنسان أول مرة من لاشيء، ونقله من طور إلى آخر، حتى أخرجه إنسانا سويا، قادر على بعثه من جديد.

ثانيا: دلالة السماوات والأرض

لما كان القرءان الكريم قد برهن على البعث في الدليل الأول من خلال تذكير الإنسان بنشأته الأولى، وبالمراحل التي مر بها خلقه، فقد سلك في المقابل مسلكا آخر يتمثل آيات القدرة الإلهية في خلق الكون، تماما كما سلك ذلك في تقرير الوحدانية كما تقدم في الفصل الأول، إذ ليس أدل من آيات الله المبثوثة في الكون والنفس في تقرير هذه القضايا العقيدية.

وهذه المرة وجهنا المولى تبارك وتعالى في سورة يس إلى النظر في خلق السماوات والأرض وما بينهما، لنرى فيهن من العجائب الدالة على قدرته ﷻ على البعث،

---

[1]-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج23، ص:56

[2]-يس، الآية: 82.

[3]-ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ط3، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، (1418هـ-1998م))، ج2، ص474-475.

فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[1].

والمعنى: أوليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبرهما، وعظم شأنهما بقادر على إعادة خلق الإنسان مرة أخرى بعد فنائه[2].

والإشارة إلى السماء – أيا كان مدلولها– توجه النظر إلى أعلى هذا الفضاء السامق. والذي تسبح فيه ملايين من الأجرام الضخمة، فلا يلتقي منهما اثنان[3].

فهذا الكون الهائل بسماواته السبع، ومن الأرض مثلهن، يشتمل على بلايين الملايين من النجوم، وهي عبارة عن أجرام سماوية قاسية الضياء، عظيمة الحرارة، تندلع منها طاقات من إشعاعات[4].

وقد قرر البحث العلمي أخيرا أن كل المجرات تبتعد عن بعضها بسرعة تتناسب مع أبعادها عنا، وعن بعضها بعضا، وهكذا فالكون في توسع وتمدد[5]، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[6].

كما أن العلماء الفلكيون في حيرة من أمر هذا الكون، فقد عجزوا عن معرفة بدايته الأولى، ووضعوا في ذلك نظريات عديدة، لكنها تظل مجرد افتراضات وتخمينات، وهم أنفسهم لا يملكون من الوسائل ما يسمح لهم بإعطاء أرقام تقريبية عن تاريخ الكون يمكن الاطمئنان إليها.

وهكذا، فالناظر إلى خلق السماء بنجومها وأفلاكها، ومجراتها، فسيجدها أشد خلقا من خلقه بشتى المقاييس، وهذه الأرض التي نعيش عليها ليست إلا تابعا واحدا ضمن مجموعة

---

(1)–يس، الآية: 81.

(2)–المراغي: تفسير المراغي، ج23،ص38-39.

(3)–عبد العليم عبد الرحمان خضر: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ط2، (جدة: الدار السعودية، (1405-1985م))، ص142.

(4)–عبد العليم عبد الرحمان خضر: هندسة النظام الكوني في القرآن، ط1، (جدة: الناشر تهامة، (1403هـ-1983م))، ص16-17.

(5)–المرجع نفسه، ص101.

(6)–الذاريات، الآية: 47.

من الكواكب تتبع الشمس، وليست هي أكبر توابع الشمس، فمن هذه التوابع ماهو أكبر من الأرض بعشرات المرات[1].

والعلماء يعرفون جيدا أن موقع الأرض من الشمس والقمر متوازن بدقة متناهية، ولو حصل تغيير طفيف في هذه الأبعاد، لواجه الجنس البشري موقفا تتضاءل أمامه كل الأزمات والكوارث[2].

ولذلك فالقرءان الكريم دائما يذكر أن هندسة النظام الكوني قائمة على التوازن، والاتساق، والانسجام، والترابط، وهذه الهندسة الدقيقة إنما تعبر عن عظمة الخالق ووحدانيته، وتشهد بمدى قدرة الخالق الأعظم على الخلق والبعث، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فهذه السماوات والأرض التي دعانا كتاب الله إلى النظر فيهما مقرونا بالنظر إلى نفوسنا، فهل نستصعب بعد هذا على الذي خلقهما أن يبعثنا من جديد ؟، وفي ذلك يقول سعيد حوى: «إن الذي يعرف شيئا عن سعة الأجرام السماوية، وعن الفضاء الكبير، يعرف أن خلق الناس بالنسبة إلى ذلك أمر بسيط، فإنكار الناس لليوم الآخر شيء عجيب مع قيام الحجة على أن الله هو خالق السماوات والأرض»[3].

ومن هنا فالتأمل في خلق السماوات والأرض يقود إلى الإيمان بالبعث وبعالم الآخرة، ذلك أن الذي خلق عوالم السماوات والأرض بما فيها من سعة الخلق البديع، وعجيب النظام العام بقادر على أن يخلق الناس خلقا جديدا؟

ثالثا: دلالة اخراج الأشياء من أضدادها

بعد أن دلنا الله سبحانه وتعالى على الاعتبار بالنشأة الأولى، وبخلق السماوات والأرض كدلالتين على البعث، فقد ساق في سورة يس دلالة أخرى على قدرته تعالى في إعادة إحياء الخلق، فقال: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ.

---

(1)-محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس، ص397.

(2)-المرجع نفسه، ص399.

(3)-الإسلام، د.ط، (الجزائر: شركة الشهاب، د.ت)، ص707.

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

والمعنى : ودليل لهؤلاء المشركين على قدرتنا على البعث والنشور هو الأرض الجذباء التي نحييها بالماء، ونخرج منها أنواع شتى من النبات، وبساتين النخيل والعنب، ونجعل فيها من عيون الماء ما يروي شجرها، ويخرج ثمارها، ليأكلوا منه[2].

فالآيات القرءانية السابقة تقابل بين صورتين صورة إحياء الأرض الميتة، وصورة إحياء الأجساد الميتة لما فيها من تقريب حقيقة البعث للجاحدين، وأنه تعالى هو الصانع والحق المبين، وأنه يحيي الموتى، وأنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض[3].

ثم يذكر المولى عز وجل في السورة مثالا آخر لإخراج الأشياء من أضدادها، وهو إخراج النار من العود الخضر المرتوي ماءا، فيقول: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[4].

والمعنى أن الذي يخرج الحرارة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة لا يستعصي عليه إحياء العظام بعد أن تبلى[5]، ولكن الناس يمرون على هذه الآيات غير منتبهين لها.

فعن أبي رزين العقيلي قال: «قالت : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى، فقال : أما مررت بالواد ممحلا، ثم مررت به خضرا قال: نعم، قال، فتلك آية الله في خلقه، كذلك يحيي الله الموتى»[6].

---

(1)-يس، الآيات: 33-34.

(2)-صديق الحسين القنوجي البخاري: فتح البيان في مقاصد القرآن، د.ط، (صيدا: بيروت، المكتبة العصرية، (1416هـ-1996م))، ج11، ص289.

(3)-ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج1، ص123-124.

(4)-يس، الآية: 80.

(5)-محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرءان، د.ط، (بيروت: لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (1411-1991))، ج17، ص112.

(6)-أخرجه أحمد، مج4، ص11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا : دلالة نظام الزوجية

وتتمثل هذه الدلالة في كون كل شيء في هذا الوجود قائم على نظام الزوجية سواء في الإنسان أو في الحيوان، أو في النبات، وحتى في الجمادات، ولما كان لكل شيء زوجه الذي يستكمل به نفسه، فلابد أن يكون لهذه الدنيا زوج – وزوج هذه الدنيا هي الآخرة[1]، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

والمعنى أن الله تعالى جعل الذكورة والأنوثة في النبات، وفي الإنسان، وفي أمور أخرى لم يطلعهم عليها في وقت نزول القرءان الكريم[3]، وقد تناولنا جانبا منها في الفصل الأول-

وقد كان الإنسان يعلم من قديم الزمان أن للإنسان والحيوان زوجا، ولكنه لم يعلم إلا في العهد القريب، أن للمادة الجامدة زوجا أيضا، واكتشف أحد علماء الطبيعيات الرياضية وهو (بول ديراك) (Paul.a.M.Dinrat) امكان وجود ذرة غير مرئية مع ذرة مادية مرئية، واكتشف العالم (أندرسون) (k.Anderson) خلال دراسته للأشعة الكونية وجود ذرة مع الإلكترون، تتمتع بقوة برقية مضادة، وقد سميت هذه الذرة ب (الإلكترون المضاد)، وقد مضى هذا التحقيق حتى علم أن سائر الذرات الكائنة في الخليقة توجد بشكل أزواج، فهناك جسيمة مضادة للجسيمة، وذرة مضادة للذرة، وعالم مضاد للعالم.

ويرى بعض العلماء أن للعالم المضاد وجودا متوازيا لعالمنا، ومنفصلا عنه، وبموجب قوانين الطبيعة لابد أن يكون هناك عالم آخر مضاد.

ولقد قام بدراسة هذه النظرية كل من (أوسكر كلينOskar klien) والعالم (هانيس الفوين Hannes Alfuen)، ثم (غوستاف نان Gustov nan)، وقالوا بوجود العالم المضاد المنفصل عن عالمنا[4].

---

(1)-وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، تر: محسن عثمان الندوي ،ط، 1(د.ب: دار الصحوة الإسلامية للنشر، (1405-1984))، ص110.

(2)-يس، الآية: 36.

(3)-عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي، ص24.

(4)-وحيد الدين خان: المرجع السابق، ص111-112.

خامسا: نتائج علمية أخرى

أثبتت بعض البحوث والدراسات العلمية إمكانية وقوع البعث، وذلك من خلال الاستناد إلى النتائج الآتية:

1-فقد أكد التطور العلمي لنا عمليا القدرة على إعادة قسم من المواد المضمحلة، والمنتهية ظاهرا من الوجود، وذلك بطرق معينة، فالأصوات التي دوت في العالم قبل قرون بإمكان العلم الحديث بأجهزته المتقدمة أن يستحضرها، وهي في الزمن الغابر[1]، وهذه النظرية في العلم الحديث تؤكد عدم الفناء المطلق للأجسام، وإنما تبقى الأجسام المنحلة بدرجة معينة، وبشكل معين، لو توفرت الأجهزة الكافية لأمكن إعادتها للوجود مرة أخرى أو على الأقل حفظها ضمن قواعد كيمياوية كي لا تتفسخ، كما فعل الفراعنة في تحنيطهم المعروف[2].

2-كما قام طبيب ألماني اسمه(أزفين سانتو) (Azefin Santo)، باستخراج بعض البكتيريا من جسم مات من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، ووضعها في محاليل غذائية معينة منها محلول (الليتوم) لمدة سبع عشرة ساعة، ثم وضعها تحت المجهر، فلاحظ أنها تتحرك، وعاشت بعد تلك المدة، مما يؤكد عمليا إمكانية عودة الحياة للأجساد مرة أخرى بعد تحللها وتفرقها في التراب[3].

3-أعلنت عالمة رسية اسمها (الشيكابا) (Shicaba) أن بعض الخلايا يمكن إحياؤها مرة أخرى، وأن من بين الخلايا نوعا منها ناقلة للحياة من الممكن أن تعيش من كريات دموية متآكلة، وأنه لا شيء يموت كله، وإنما يموت بعضه، وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة، وهذه النظرية تثبت أن العلم الحديث بدأ يعترف بإمكانية عودة الأجسام الفانية بنسبة معينة، وبشكل معين[4]، بل إن العلم الحديث يؤكد أيضا أن الشمعة التي احترقت لم تفن مادتها، بل إنها تحولت أثناء احتراقها إلى مواد غازية وأخرى سائلة، لو جمعها الإنسان

---

(1)-وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص123.

(2)-المرجع نفسه، ص123.

(3)-المرجع نفسه، ص123.

(4)-لماذا المعاد ضرورة حياتية: (www. 14 mason.com, 23 janvier 2005)، 11:30سا.

ووزنها، لم يجد بها نقصا عن وزنها السابق، ومعنى ذلك أن جثة الميت التي تحللت وصارت سائلا، تسرب في التراب، وغازات انتشرت لم تتبدد، وانما ترجع إلى اصلها كما كانت دون نقص، وعلم الكيمياء يقول إنه مثلما يمكن جمع ذرتين من الإيدروجين، وذرة من الأوكسجين، ليتكون منهما الماء، فإنه يمكن تحليل الماء إلى عناصره الأولية، فيستخرج منه الإيدروجين والأوكسجين أيضا، فالعناصر التي يتحلل إليها جسد الإنسان الميت، ويمكن جمعها ثانية بعد فنائها، ليعود هذا الجسد من جديد يوم البعث الأكبر[1].

ومن خلال ما سبق، وبالنظر في التطور العلمي نجد أن المعاد أضحى ضرورة علمية باعتبار وقوف العلم الحديث بوسائله المتطورة، وإنجازاته المتقدمة إلى جانب الإقرار بمسألة العودة للحياة، وهذا ما يوافق ما جاء ذكره في القرءان الكريم حول البعث أو المعاد

وبعد عرض هذه الدلالات المذكورة في سورة يس الدالة على إمكانية بعث الأجساد بعد موتها، نصل إلى أن كل الشبهات التي أثارها منكرو البعث ترجع في أساسها إلى الجهل بالله تعالى، وبصفاته، هذا الجهل الذي جعل هؤلاء المكذبين قاصرين عن تصور القدرة الإلهية التي لا يحدها شيء، وجعلهم كذلك قاصرين عن إدراك الحكمة من بعث الأجساد.

---

[1]-عبد الغني عبود: اليوم الأخر والحياة المعاصر، ط1، (د.ب: دار الفكر العربي، 1978)،ص79.

المبحث الثالث: أثر الإيمان باليوم الآخر في الفرد والمجتمع

هل للإيمان باليوم الآخر أثر في الحياة الفرد والمجتمع ؟وهل أن الإيمان به، وبما فيه من جنة ونار، وحساب وعقاب، وثواب يكون باعثا على الراحة والاطمئنان النفسي ؟وهل له الأثر في توجيه سلوك الإنسان، وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح، وتقوى الله عـــز وجل فتتحقق بذلك السعادة المنشودة، والمجتمع الفاضل؟

هذا ما سنحاول معرفته في هذا المبحث:

المطلب الأول: الطمأنينة النفسية

كانت الطمأنينة وهدوء الأعصاب، والراحة النفسية التامة من أهم خصائص المؤمنين في عهود الإسلام الأولى، حتى أنها غدت من الأمور التي لفتت أنظار أولئك الغربيين الذين كانوا يعيشون بين الأعراب، وكانت كلها ناتجة عن إيمان عميق باليوم الآخر.

فالمؤمن بهذا اليوم لا يكترث لمشاق الحياة، ولا يستغرق في ملذات الدنيا بـــل هـــو يتذكر دائما لقاء ربه، ويرجو حسن العاقبة، وينتظر رحمة ربه في الحياة الآخرة، فلا يرهـــب من اجتياز هذه المرحلة إذا كان محسنا، ولا ييأس من رحمة الله إذا كان مؤمنا[1]، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[2]، ومؤمن آل يس خير أنموذج في ذلك، فقد نظر إلـــى الحياة نظرة عابر سبيل أو مودع، وأعلى كلمة الله أمام أهالي قريته، وبقي يدعو إلى الحيـــاة الآخرة، فقال: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]، فهذه الآية تدل على إيمانـــه العميق باليوم الآخر، هذا الإيمان الذي امتلأت به نفسه، فانعكس على عزيمته، فواجهـــهم – يعني أهل القرية – من غير خوف أو رهبة.

في حين أن المنكر للبعث واليوم الآخر، المحب للخلود الدنيوي، نجده يعيـــش حيـــاة ضنكة، وفي قلق دائم نتيجة نظرته القاصرة للحياة، وليس من باب الغرابة أن تظهر في أوربا

---

(1)-محمد المبارك: نظام الإسلام، ص158-159

(2)-الزمر، الآية: 9.

(3)-يس، الآية:22.

فلسفة القلق، والعبث، والإحباط[1]، وهو ما أدى إلى انتشار الكثير من الأمراض في المجتمع نحو : اضطرابات القلب، وعسر الهضم، والقرحة المعدية، والأرق، والصداع، وأن نشاهد ونسجل كل يوم كثرة حالات الانتحار والأمراض العصبية المتزايد بسرعة كبيرة في الدول الغربية، ونذكر هنا ما قاله فيكتور هيغو في باريس قال: «توجد كارثة في زماننا هذا وكنت أريد أن أقول شبه كارثة، ألا وهي الميل إلى حصر كل اعتبار في هذه الحياة الدنيا وحدها، والحقيقة أنه بإقناع الإنسان بأن هذه الحياة الأرضية المادية هي الغرض الأسمى من الوجود، والنهاية التي ليس بعدها مرمى، تتضخم جميع متاعب العيش، وتعظم سائر تكاليفه، فواجبنا جميعا أن نوجه الرؤوس نحو السماء، وأن نلفت جميع الأرواح إلى حياة يتقرر فيها العدل، ويجازى على كل ما كسبت يداه»[2].

فالإنسان إذا ما حصر حياته في هذه الدنيا من المهد إلى اللحد، فما أبشعها من حياة تدعو إلى القنوط، وتخنق في الأحياء منا حرية الإرادة[3].

في حين أن الإيمان باليوم الآخر من شأنه أن يوفر السكينة والطمأنينة في القلوب، فيشعر المؤمن بأن الدنيا متاع الغرور، فيزهد فيها، ولا يتكالب عليها، ليستأثر بما يريد، فتكون عندئذ غاية الحياة سامية، وهدفها رفيعا وهو عمل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلي بكل فضيلة، والتخلي عن كل رذيلة، وقد استعان القرءان الكريم بهذه العقيدة للدعوة إلى الفضائل الأخلاقية[4].

ومن هنا فقد كان للإيمان بالحياة الأخرى أثر كبير في توجيه الحضارة وبناء الأمة، ويبدو هذا البرهان العملي واضحا في ازدهار الحضارة الإسلامية في جميع جوانبها المادية والروحية والخلقية في القرون الأربع الأولى.

---

(1)-عبد المجيد النجار: الإيمان وأثره في الحياة، ص

(2)-محمد المبارك: نظام الإسلام، ص159.

(3)-عائشة عبد الرحمان: القرءان وقضايا العصر، ط1، (بيروت: لبنان، دار العلم للملايين، 1982)، ص151.

(4)-عفيف عبد الفتاح طباره: روح الدين الإسلامي، ص119.

المطلب الثاني: ضبط سلوك المؤمن

من شأن الإيمان باليوم الآخر أن يضبط سلوك الفرد داخل المجتمع، فتتحقق سعادة الجماعة الإنسانية، لأنها مرهونة بضوابط سلوك الإنسان، وحينما نحاول البحث عن الضوابط التي يمكن أن تضبط سلوكه، نجد ضوابط ضعيفة وناقصة، عدا ضابطا واحدا، وهو مراقبة الله وعقابه في اليوم الآخر[1].

فإذا عرف المسلم أنه مراقب من الملائكة المراقبين له الذين أوكلهم الله به دون أن يراهم، ويقومون بتدوين كل أفعاله الصغيرة والكبيرة، ثم تظهر هذه التوثيقات في يوم آخر غير هذا اليوم قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]، فإذا عرف الإنسان هذا دعاه إلى الانضباط في حياته الدنيا سواء في تصرفاته الخاصة أو العامة مع الآخرين، وإذا تحقق هذا تحقق المجتمع الفاضل المنشود، وساده قدر كبير من الأمن والسعادة[3].

ونفس الأمر بالنسبة لحديث القرءان الكريم عن الجنة ونعيمها المقيم، فهو يهدف إلى تحبيب الناس فيها، فيكفوا عن المعاصي، ويوثقوا صلتهم بالله تبارك وتعالى، ويحسنوا من سلوكهم في الدنيا، رجاء الفوز بالجنة.

بينما الذين لا يؤمنون بالآخرة، فهمهم العظيم هو تحقيق أكبر قدر ممكن من الشهوات، ويخشون فوات الفرص، لأن التصور الوحيد في أذهانهم أن الفرصة واحدة، هي هذه الحياة الأرضية، والموت يفني الأعمار، والدهر يهلكهم، ولذلك قال أحدهم «لك الساعة التي أنت فيها»، يحضون على اغتنام أي دقيقة أو ثانية في الحياة حتى لا تفلت من بين أيديهم، فلا يشبعون فيها غرائزهم وشهواتهم، علما أن النفس مطبوعة على أن تحب ما يلذ لها، وتجده حسنا جميلا، وهؤلاء يخسرون حياتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[4].

---

[1]-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 536

[2]-ق، الآية: 18.

[3]-محمود سالم عبيدات: العقيدة الإسلامية، ص525.

[4]-النمل، الآية: 5.

فالخسارة العظيمة ناتجة عن الاندفاع في سوء الأعمال، وبذلك يكون المكذبون بالآخرة وبالبعث، والحساب والعقاب قد بوأو لأنفسهم حياة الجحيم، لا يعرفون فيها إلا العذاب الأليم[1]، وبهذا تغدو قضية الإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لحل مشكلة الجنوح الإنساني، ولمنح المجتمعات الإنسانية أفضل صورة ممكنة من السعادة الجماعية في ظروف هذه الحياة الدنيا، ولدفع الإنسان إلى فعل الخير، والارتقاء في سلم الفضائل الفردية[2].

فتصبح حياة الفرد قائمة على أساس احترام كل ما جاءت به تعاليم الوحي، فيلتزمون الحدود، فلا يقربونها ولا يعتدونها، فيجعلون لأنفسهم كابحا يكبح الشهوات، ويلتزمون القصد، والاعتدال في الحياة.

المطلب الثالث: الفاعلية والإخلاص في العمل

يحدث الإيمان باليوم الآخر مشاعر وأحاسيس كثيرة في نفس الإنسان المؤمن المتفكر في مصيره. ومن هذه المشاعر الخجل والحياء من الله الخالق المنعم والخشية من لقائه وحسابه، والرغبة في تجنب سخطه وغضبه، وفي الوصول إلى مرضاته ومحبته ، وهذه العواطف كلها شعلتها متوقدة في النفس كانت كل واحدة منها حافزا للإنسان على العمل فيما يرضي الله تعالى على السلوك الصالح في هذه الحياة[3]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[4].

وبذلك يكون الإيمان باليوم الآخر في أعمال النفس دافعا قويا إلى عمل الخير ومكافحة الشر، ويكون هذا الدافع أقوى من الجزاء الدنيوي أو قواعد الجزر والعقاب فيكون هذا الإيمان سببا في الإخلاص في العمل – كما نوهنا إلى ذلك سابقا – لأن العمل لا يكون ترقيا لمكافأة أو شكر ينتظرهما من الناس أو من المجتمع لأنه يعمل لوجه الله وابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[5]. على أن

---

(1)-سفيان بن الشيخ الحسين: دحض الشبهات حول عقيدة الآخرة، ص03.

(2)-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص556.

(3)-محمد المبارك: نظام الإسلام، ص156.

(4)-البقرة، الآية:207.

(5)-الإنسان، الآية: 9.

الإيمان بعدل الله سبحانه وتعالى المطلق، وجزائه الأوفر، هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحيوية، والديناميكية، وقد كانت عقيدة البعث أو اليوم الآخر في الديانة المصرية القديمة محاولة مستبسلة لمقاومة فكرة العدم بعد الموت[1]، وهذه العقيدة هي التي هيأت لإنسان وادي النيل قدرته المبدعة في بناء الحضارة البشرية الأولى[2].

والدين الإسلامي في ترسيخه لعقيدة الإيمان باليوم الآخر، يعين الإنسان، وهو البشر الفاني على مجاهدته الباسلة في سبيل الخير العام، والقيم الباقية، بما يمنحه من الأمل في أن كفاحه في رحلته عبثا، وأن حياته الدنيوية المؤقتة ليست إلا ابتلاء لطاقته على احتمال تكاليف وجوده، وأمانة إنسانية، فيحميه بذلك من فكرة العدم المدمرة للإنسانية[3].

هذه بعض الآثار المترتبة عن الإيمان باليوم الآخر في الفرد و المجتمع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا العصر، ص151.

[2]-المرجع نفسه، ص208.

[3]-محمد المبارك: نظام الإسلام، ص153-154.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا البحث الموسوم بـ:أصول العقيدة في سورة يس وآثرها في الفرد والمجتمع. فلله وحده الفضل والمنة، وخلاصته:

- سورة يس من السور المكية التي اشتملت على أركان العقيدة الإسلامية، المتمثلة في الإيمان بالله، والإيمان بالرسل والرسالة، والإيمان باليوم الآخر، وقد ركزت السورة بصفة أساسية على هذين الموضوعين الآخرين.

-بينت سورة يس من خلال كل موضوع ما يأتي:

*فيما يخص الإيمان بالله:

-ذكرت السورة عبادة الإنسان للآلهة مختلفة، كالأصنام والأوثان، وعبادة الشياطين، مما يدل على انحراف فطرة الإنسان.

-خاطب الله تعالى في سورة يس الفطرة، فدعاها إلى الإيمان بما هو مركوز فيها من أصل خلقتها، وقد بينت لنا قصة مؤمن آل يس جانبا من ذلك.

-وجه الله تعالى في سورة يس أنظار الناس إلى آيات الله المبثوثة في الآفاق والأنفس الدالة على وجوده ووحدانيته، ومن هذه الدلائل: دلالة الليل والنهار، دلالة الشمس والقمر، دلالة السماوات والأرض، ودلالة خلق الإنسان، دلالة التسخير، ودلالة الأزواج.

*فيما يخص الإيمان بالرسل والرسالة:

-بينت سورة يس صفات الرسل -عليهم السلام- كالتبليغ والفطنة والصدق والبشرية والذكورة، كما تناولت بعض وظائفهم التي كلفوا بها كالدعوة إلى عبادته تعالى، وإرشاد الناس وهدايتهم إلى طريق الحق، وتذكيرهم بنشأتهم الأولى ومصيرهم في الآخرة.

-ردت السورة على مجموعة من الاعتراضات والشبهات الواردة حول الرسل ورسالاتهم، والتي منها إنكار بشريتهم عليهم السلام، وإنكار الوحي، ورسالة محمد ﷺ واتهامه بالشعر،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فبينت السورة أنّ الرسل -عليهم السلام- بشر من نفس الأمة، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويمرضون، كما أظهرت إمكانية وقوع الوحي في حياتهم عليهم السلام.

-وبينت السورة كذلك أنّ الرسول محمد ﷺ رسول من جملة المرسلين الذين سبق إرسالهم إلى الخلق، وهو ليس بشاعر، والقرآن الكريم ليس بشعر، حيث أن المتتبع لسيرته العطرة يجد أنه كان لا يتهدى إلى إقامة وزن الشعر، وكان يكسر البيت الشعري إذا تمثل به.

*وأما موضوع الإيمان باليوم الآخر:

-بينت السورة أنّ الناس في حاجة ماسة ليوم القيامة، الذي يظهر الله فيه عدله لعباده الذين لم يأخذوا أجرهم في الحياة الدنيا.

-اشتملت سورة يس على مراحل وأحداث متنوعة يمر بها الناس في ذلك اليوم العظيم، والتي منها: النفخ في الصور، البعث والحساب، والصراط والجنة والنار.

-إنكار البعث واليوم الآخر وجد منذ عهود سحيقة، ولا يزال هذا الإنكار قائما إلى يومنا هذا. وقد ذكرت السورة بغض الآيات الإلهية المبثوثة في الآفاق والأنفس الدالة على مسألة البعث يوم القيامة، وبأنه حق، ومن هذه الدلالات دلالة خلق الإنسان، دلالة السماوات والأرض، دلالة إخراج الأشياء من أضدادها ودلالة الأزواج.

-بيّن العلم الحديث حقائق وردت في سورة يس، كمسألة خلق الإنسان من نطفة، وقضية نظام الزوجية المبثوث في كل شيء في هذا الوجود، ومسألة جريان الشمس.

*وأما بالنسبة لأثر الإيمان:

-يتجلى أثر الإيمان بالله في الفرد والمجتمع في الطمأنينة والأمن النفسي، حيث يحقق هذا الإيمان سكينة النفس وطمأنينة القلب، كما أنه ينشئ في نفس المؤمن عزة وشعور بالكرامة، ويدفعه للتحلي بأخلاق أصيلة كالصدق والأمانة، ويحقق له الاستقامة في طريق الحق

-إن الصبر والشجاعة والثبات من أهم الآثار المترتبة عن الإيمان بالرسل والرسالة، إذ كل هذه الصفات هي من أهم مميزات المرسلين -عليهم السلام-، وهذا ما نجده عند تتبع قصصهم عليهم السلام في القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
-البقـــرة-		
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.	132	96
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾.	207	129
-آل عمـــران-		
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.	139	52
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.	192	112
-النســـاء-		
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.	141	51
-المـــائدة-		
﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾.	89	2
-الأنعـــام-		
﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.	74	20
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.	153	105
-الأعـــراف-		
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.	172	25
-الأنفـــال-		
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.	27	54
-التـــوبة-		
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾.	111	95
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.	119	53
-يونـــس-		
﴿لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾.	71	95
﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ﴾.	90	26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الرعـــــد-		
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.	2	43
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾.	28	49
-الحجــــــر-		
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.	29	80
-النحــــــل-		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾.	36	73
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.	61	116
-الكهــــف-		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.	110	72
-مـــــريم-		
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾.	55	62
-الحـــــج-		
﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.	78	79
-الفرقـــان-		
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.	44	56
-النمــــل-		
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾.	5	128
-الـــــروم-		
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ﴾.	30	24
-لقمـــــان-		
﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.	32	32
-فـــــاطر-		
﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾.	12	11
﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.	13	11
﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.	37	11

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-يــــــس-		
﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.	1-2-3	2،13،84،102
﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.	4	84،101،108
﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.	6	61
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾.	8	9،10،14
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.	12	14،66،106
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾.	13	13،28،61،62،70،74،84
﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾.	14	28،61،62،70،74،84
﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.	15	13،28،70،72،77،80،95
﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا ﴾.	16-17	28،69،70
﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.	18	93
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾.	20	25،28،95
﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾.	21	25،28،95
﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾.	22	25،26،28،51،74،100،126
﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾.	23	12،19،25،28،51،74
﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.	24	12،19،25،28،51،74
﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِي﴾.	25	25
﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.	26	93
﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.	27	93
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾.	28	13
﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾.	30	61،63،64
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾.	31	61،63
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾.	33	12،37،122
﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ﴾.	34	12،37،122
﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾.	35	12،37،122

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾.	36	12،40،46،123
﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.	37	34،43
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾.	38	11،13،30،31،43
﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.	39	11،13،30،43
﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾.	40	30،32،35،43
﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.	41	29،45،85
﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾.	42–43	29،45،85
﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾.	49	102
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.	50	103
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾.	51	14،65،71،102،104
﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾.	52	13،14،104،105
﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.	53	102،103،104
﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.	54	100،106،107
﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾.	55	14،66،75،110
﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾.	56	14،66،75،110
﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.	57	14،66،75،110،112
﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.	58	75،110
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ﴾.	60	22،62،64،73
﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.	61	62،64،73،108
﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾.	62	29،62،64
﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.	63	14،64،67،76،110،113
﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.	64	14،67،76،110،113
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾.	65	66،106
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾.	66	108،109
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.	69	13

﴿أَولَمْ يَروْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾.	71	44
﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ومِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.	72	44
﴿ولَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ومَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.	73	44
﴿واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾.	74	19
﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾.	75	19
﴿أَولَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.	77	118،117،75،10
﴿وضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ونَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ﴾	78	118،115،104،14
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.	79	104
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾.	80	122
﴿أَولَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾.	81	120،37
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.	82	119

-الزمـــــر-

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.	9	126

-غـــــافر-

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.	51	95

-الشـــــورى-

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.	38	58

-الزخــــــرف-

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾.	23	58

-الجـــــاثية-

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾.	24	114

-محمـــــد-

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.	11	51

-الفتـــــح-

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	4	49
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾.	29	52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ق-		
﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾.	2	114
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾.	16	55
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.	18	128
-الذاريات-		
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.	21	39
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.	47	120
-الواقعة-		
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ. وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾.	46-45	56
-المجادلة-		
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.	6	107
-المنافقون-		
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.	8	51
-الحاقة-		
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.	18	105
-الإنسان-		
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾.	9	129

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الصفحة	الفهارس
54	«إذا ضيعت الأمانة فأنتظر الساعة... »
113	«إذا كان يوم القيامة جمع الله... »
110	«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين...»
122	«أما مررت بالواد ممحلا...»
10	«إن أثاركم تكتب فلا تنتقلوا...»
89	«أنا النبي لا كذب...»
89	«أنت القائل: أتجعل ... »
111	«إن في الجنة شجرة ...»
15	«إن لكل شيء قلب...»
21	«إني رأيت عمرو بن لحي...»
5	«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته...»
15	«البقرة سنام القرآن وذروته...»
112	«بينتا أهل الجنة في نعيمهم...»
16	«سورة يس اقرأوها على ...»
16	«سورة يس تدعى في التوراة...»
53	«عليكم بالصدق، فإن الصدق...»
40	«قال الله تعالى: بني آدم...»
102	«قال: قرن ينفخ فيه...»
53	«كلكم راع في أهله...»
107	«لا تزول قدما عبد ...»
103	«لتقومن الساعة وقد نشر...»
53	«ما أعطي أحد عطاء خير...»
25	«ما من مولود إلا يولد على الفطرة... »
10، 115	«نعم يبعث الله هذا ...»

«هل أنت إلا أصبع...»	89
«يا أبا ذر أتدري أين...»	91
«يصعق الناس حينا يصعقون...»	105
«يضرب الصراط بين ظهران ...»	109
«يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة...»	53
«يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء...»	25
«يمر الناس على جسر جهنم...»	109

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام:

الصفحة	العلـــم
	-أ-
20	ابن إسحاق (محمد بن إسحاق)
41	الأشعري (أبو الحسن)
	-ج-
4	الجرجاني (عبد القاهر)
9	أبو جهل
102	ابن جبير (مجاهد)
	-ر-
74	الرازي (فخر الدين)
90	الرافعي (مصطفى صادق)
46	ابن رشد
	-س-
89	السلمي (عباس بن مرداس)
12	السيوطي (جلال الدين)
	-ش-
5	الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)
	-ط-
37	الطنطاوي (محمد سيد)
	-ع-
7	ابن عاشور (محمد الطاهر)
9	ابن عباس
56	عبده (محمد)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العقاد (عباس محمود)	22
ابن عمرو (عبد الله)	102
عياض (القاضي)	84
-ف-	
الفيروزأبادي (محمد بن يعقوب)	8
-ق-	
قطب (سيد)	14
ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر)	22
-ك-	
ابن كثير (إسماعيل بن عمر)	20
-م-	
ابن مالك (أنس)	15
المراغي (أحمد بن مصطفى)	46
-هـ-	
ابن هشام (أبو محمد عبد الملك)	21
-و-	
ابن وائل (العاص)	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية حفص

-الكتب باللغة العربية:

-أ-

1. إبراهيم (محمد)

-عرفت الله، دط، (القاهرة: مصر، الدار المصرية اللبنانية، دت)

2. ابن الأثير (مجد الدين المبارك)

-النهاية في غريب الحديث والأثر، دط، (بيروت: دار الفكر، دت).

3. الأشقر (عمر سليمان)

-أثر الإيمان في تحرير الإنسان، دط، (عمان: دار النفائس، 1991).

-الرسل والرسالات، دط، (البليدة: الجزائر، قصر الكتاب، دت).

-اليوم الآخر (الجنة والنار)، ط2، (الجزائر: قصر الكتاب (1411هـ-1991م)).

4. الأصفهاني (الراغب)

-المفردات في غريب القرآن، دط، (لبنان: دار المعرفة، دت)

5. أمين (أحمد)

-زعماء الإصلاح، دون معلومات النشر

6. الأندلسي (أبو حيان)

-تفسير النهر الماد من البحر المحيط، دط، (دار الجنان: مؤسسة الكتاب الثقافية، دت)

7. أنيس (إبراهيم) وآخرون

-المعجم الوسيط، دون معلومات النشر

8. أيوب (حسن)

-رحلة الخلود، دط، (القاهرة: دار السلام، (1423هـ-2003م))

-ب-

9. ابن باز (عبد العزيز)

-العقيدة الصحيحة وما يضادها، دط، (السعودية: دار القاسم للنشر، 1415هـ)

10. عبد الباقي (محمد فؤاد)

-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، (دب: دار ومطابع الشعب، دت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11. البخاري (أبو عبد الله) ت: 256هـ
-الجامع الصحيح، دط، (دب: إدارة الطباعة المنيرية، دت)
12. البداوي (أحمد محمد)
-سيد قطب ناقدا، دط، (القاهرة: الدار الثقافية، 2002)
13. البرسوي (إسماعيل حقي)
-تفسير روح البيان، دط، (دب: دار إحياء التراث العربي، دت)
14. البعلبكي (منير)
-معجم أعلام المورد، ط1، (بيروت: دار العالم للملايين، 1992م)
15. البغدادي (الخطيب)
-تاريخ بغداد، دط، (بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي، دت)
16. البقاعي (برهان الدين)
-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دط، (دب: دار الكتاب العربي، دت)
17. البيضاوي (ناصر الدين عبد الله)
-تفسير البيضاوي المسمى "أسرار التنزيل وأسرار التأويل"، دط، (دب: دار الفكر، (1402هـ-1982م)).

-ت-

18. الترابي (حسن)
-الإيمان وأثره في الحياة، د.ط، (الكويت: دار القلم، 1979).
19. الترمذي (أبو عيسى) ت: 279هـ
-السنن، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، (بيروت: دار الفكر، (1403هـ-1983م)).
-السنن، ط1، (دب: مطبعة الصاوي، (1353هـ-1934م)).
-صحيح سنن الترمذي، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دط، (دب: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، (1408هـ-1988م)).
20. التهانوي
-كشاف اصطلاحات الفنون، دط، (دب: دم، (1382هـ-1983م)).
21. توفيق (محمد عز الدين)
-دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، دط، (مصر: دار السلام، (1424هـ-2004م)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

22. ابن تيمية (أحمد تقي الدين) ت: 728هـ

-النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح القربان، ط1، (دب: مكتبة أضواء السلف، (1420هـ-2000م)).

-ث-

23. الثعالبي (عبد الرحمن)

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمار طالبي، دط، (الجزائر: المؤسسة الوطنية، دت).

-ج-

24. الجرجاني (عبد القاهر)

-التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دط، (القاهرة: دار الرشد، دت)

25. الجزائري (أبو بكر جابر)

-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط4، (دب: دد، (1412هـ-1992م)).

26. جماعة من كبار اللغويين العرب

-المعجم العربي الأساسي، دون معلومات النشر

27. الجندي (عبد العزيز)

-معجم البلدان، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1410هـ-1990م)).

28. الجوزي (جمال الدين عبد الرحمن)

-زاد الميسر في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1، (دب: دار الفكر، (1407هـ-1987م)).

29. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)

-الموضوعات، دط، (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)

-ح-

30. الحاكم (أبو عبد الله النيسابوري)

-المستدرك على الصحيحين، دط، (لبنان: دار الكتاب العربي، دت)

31. ابن حبان

-الصحيح، ط1، (بيروت: دار الفكر، (1407هـ-1987م)).

32. حبنكة (عبد الرحمن حسن)

-العقيدة الإسلامية وأسسها، ط1، (سوريا: دار القلم، (1423هـ-2002م)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

33. الحسين (سفيان بن الشيخ)

-دحض الشبهات حول عقيدة الآخرة، دون معلومات النشر

-دلائل وجود الله جل جلاله بين الفلسفة والعلم، دون معلومات النشر

-المعجزة القرآنية، دط، (الجزائر: دار الشهاب، (1413هـ-1987م)).

34. حمزة (محمد وآخرون)

-تفسير القرآن الكريم، دط، (دب: دار المعارف المصرية، دت)

35. ابن حنبل (أحمد)

-المسند (وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)

36. الحنبلي (أبو عماد)

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دط، (دب: منشورات دار الآفاق الجديدة، دت)

37. حوى (سعيد)

-الإسلام، د.ط، (الجزائر: دار الشهاب، د.ت).

-خـ-

38. الخالدي (صلاح عبد الفتاح)

-سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دط، (دمشق: بيروت، دار القلم، 1999).

39. الخالدي (محمود)

-العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، دط، (دب: مكتبة الرسالة الحديثة)

40. خان (وحيد الدين)

-الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ط7، (القاهرة: المختار الإسلامي، (1357هـ-1977م)).

-قضية البعث الإسلامي، تحقيق: محسن عثمان الندوي، ط1، (دب: دار الصحوة للنشر، (1405هـ-1984م)).

-الدين في مواجهة العلم، تحقيق: ظفر الإسلام خان، دط، (بيروت: دار النفائس، 1982م)

41. الخزندار (محمود محمد)

-هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ط2، (الرياض: دار طيبة، (1417هـ-1998م)).

42. خضر (عبد العليم عبد الرحمن)

-الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، دط، (جدة: الدار السعودية، (1405هـ-1985م)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، دط، (دب: الناشر تهامة، (1403هـ-1983م)).
43. الخطيب (عبد الكريم)
-التفسير القرآني للقرآن، دط، (دب: دار الفكر العربي، دت)

-د-

44. الدارمي (عبد الله)
-السنن، تحقيق: السيد عبد الله هاشم المدني، دط، (باكستان: أحاديث الخادمي، (1404هـ-1984م)).
-السنن، دط، (دب: دار الفكر، دت)
45. أبو داود
-السنن، دط، (السعودية: مكتبة الرياض الحديثة، دت)
46. دراز (محمد عبد الله)
-النبأ العظيم، د.ط، (مصر: د.د، (1373هـ-1960م)).

-ذ-

47. الذهبي
-سير أعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الرعيف، ط1، (بيروت: دد، (1403هـ-1983م)).

-ر-

48. الرازي (فخر الدين)
-التفسير الكبير، دط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت)
49. الرازي (محمد)
-مختار الصحاح، بدون معلومات النشر
50. الرافعي (مصطفى صادق)
-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1985م)
51. رضا (أحمد)
-معجم متن اللغة، دط، (دب: مكتبة الجنان، (1475هـ-1960م)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ز-

52. الزحيلي (وهبة)

-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، (دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، (1411هـ-1991م)).

53. الزرقاني (محمد عبد العظيم)

-مناهل العرفان في علوم القرآن، دط، (دب: دار إحياء الكتب العربية، دت)

54. الزركشي (بدر الدين محمد)

-البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، (لبنان: دار المعرفة، دت)

55. الزركلي (خير الدين)

-الأعلام، ط5، (بيروت: لبنان، دار العلم للملايين، 1980م).

56. زكريا (أحمد بن فارس)

-مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، (لبنان: مؤسسة الرسالة، (1406هـ-1986م)).

-معجم مقاييس اللغة، دط، (مصر: مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م)).

57. الزمخشري (أبو القاسم محمد) ت: 528هـ

-الكشاف، ط2، (القاهرة: مصر، مطبعة الاستقامة (1373هـ-1953م)).

58. الزنداني (عبد المجيد)

-علم الإيمان، دط، (الجزائر: دار المنابع، 2001م)

-س-

59. سابق (السيد)

-إسلامنا، دط، (بيروت: لبنان، دار الفكر، (1313هـ-1978م)).

-العقائد الإسلامية، دط، (بيروت: لبنان، دار الفكر، (1398هـ-1978م)).

-عناصر القوة في الإسلام، دط، (دب: مكتبة الشركة الجزائرية، 1998م)

60. السمعاني

-الأنساب، ط2، (بيروت: لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، (1408هـ-1980م)).

61. السيوطي (جلال الدين)

-أسباب النزول، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دط، (القاهرة: دار الفجر للتراث، (1423هـ-2002م)).

-أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، دط، (تونس: دار بوسلامة، 1989م)

-ش-

62. شحاتة (عبد الله محمود)

-أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، دط، (مصر: الهيئة المصرية العامة، دت)

63. الشعراوي (محمد متولي)

-الأدلة المادية على وجود الله، دط، (الجزائر: دار الشهاب، دت)

64. شلبي (محمود)

-حياة أهل الجنة، دط، (بيروت: لبنان، دار الجيل، دت)

65. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت: 548هـ.

-الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط1، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، (1387هـ-1967م)).

66. الشوكاني (محمد بن علي)

-إرشاد الثقاة إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال، دط، (القاهرة: مصر، مكتبة النهضة المصرية (1406هـ-1986م)).

67. ابن أبي شيبة

-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، دط، (الهند: الدار السلفية، دت).

68. الشيرازي

-طبقات الفقهاء، دط، (بيروت: دار الرائد العربي، (1401هـ-1981م)).

-ص-

69. الصابوني (محمد علي)

-صفوة التفاسير، دط، (بيروت: لبنان، دار القرآن الكريم، (1402هـ-1981م)).

70. صبحي (أحمد محمود)

-في علم الكلام "الأشاعرة"، دط، (بيروت: دار النهضة، دت).

-ط-

71. طباره (عفيف عبد الفتاح)

-تفسير روح القرآن الكريم، دط، (دب: دار العالم للملايين، دت)

-روح الدين الإسلامي، ط27، (بيروت: دار العلم للملايين، 1988).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

72. الطباطبائي (محمد حسين)

-الميزان في تفسير القرآن، دط، (دب: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (1411هـ-1991م)).

73. الطبري (محمد بن جرير) ت: 310هـ

-جامع البيان في تفسير القرآن، ط1، (بيروت: لبنان، دار المعرفة، (1408هـ-1980م)).

74. طنطاوي (محمد سيد)

-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دط، (دب: مطبعة السعادة، (1405هـ-1985م)).

-ع-

75. عاشور (عبد اللطيف)

-نعيم أهل الجنة في القرآن والسنة، دط، (بيروت: لبنان، دار الجيل، دط)

76. عاشور (محمد الطاهر بن محمد)

-التحرير والتنوير، دط، (الجزائر: تونس، الدار التونسية، 1984م)

77. عبده (محمد) ت: 1905م

-رسالة التوحيد، تحقيق: طاهر الطنطاوي، دط، (دب: دار الهلال، دت)

78. عبود (عبد الغني)

-اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ط1، (دب: دار الفكر العربي، 1978م)

79. عبيدات (عبد الكريم نوفان)

-الأدلة العقلية في القرآن الكريم ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، ط1، (الأردن: دار النفائس، (1420هـ-2000م)).

80. عبيدات (محمود سالم)

-العقيدة الإسلامية، دط، (عمان: الأردن، دار الفرقان، 1998م)

81. العجم (رفيق)

-موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ط1، (لبنان: مكتبة لبنان، دت).

82. العقاد (عباس محمود)

-العقائد والمذاهب، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979م)

83. العك (خالد عبد الرحمن)

-موسوعة عظماء حول الرسول، ط1، (دب: دار النفائس، (1412هـ-1991م)).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

84. عليان (رشدي محمد)، الدوري (قحطان عبد الرحمن)

-أصول الدين الإسلامي، ط4، (دب: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (1411هـ-1980م)).

85. عياض (القاضي)

-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دط، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، دت).

86. عوض (أحمد عبده)

-العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما، ط1، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر (1422هـ-2002م).

-غ-

87. غالب (مصطفى)

-ابن رشد، دط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، (1405هـ-1985م)).

88. الغرناطي (أحمد)

-البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، (1410هـ-1990م)).

89. الغزالي (أبو حامد)

-التفكير في خلق الله، تحقيق: ماهر النجد، ط1، (دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، (1416هـ-1995م)).

90. الغمراوي (محمد أحمد)

-الإسلام في عصر العلم، ط1، (دب: مطبعة السعادة، (1393هـ-1973م)).

-ف-

91. الفراهيدي (الخليل)

-كتاب العين، تحقيق: محمد المغزوي وإبراهيم السامرائي، دط، (بيروت: لبنان، مؤسسة الأعلمي، (1408هـ-1988م)).

92. الفيروزآبادي (مجد الدين)

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، دط، (دب: المكتبة العلمية، دت)

-القاموس المحيط، ط3، (مصر: المطبعة المنيرية، 1308هـ)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ق-

93. القرشي (أبو زيد)

-جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد البيجـاوي، ط1، (القـاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دت)

94. القرطبي (محمد أبو أحمد) ت: 671هـ

-التذكرة في أحوال الموتى، تحقيق: السيد الجميلي، دط، (بيروت: دار ابن زيـدون، القـاهرة: مكتبة مدبولي، (1408هـ-1988م)).

-الجامع لأحكام القرآن، د.ط، (القاهرة: دار الكاتب العربي للنشر، (1387هـ-1965م)).

95. القرضاوي (يوسف)

-وجود الله، دط، (قسنطينة: دار البعث، (1407هـ-1987م)).

96. قطب (سيد)

-خصائص التصور الإسلامي، ط3، (دب: دد، 1967م).

-في ظلال القرآن، د.ط، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

القنوجي (صديق)-

-فتح البيان في تفسير القـرآن، ط1، (بـيروت: لبنـان، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، (1411هـ-1991م)).

97. ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر) ت: 751هـ

-إعلام الموقعين عن رب العالمين، دط، (مصر: دار الطباعة المنيرية، دب).

-إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، دط، (بيروت: المكتبة الثقافية، دب).

-حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دط، (دب: مكتبة ومطبعة محمد علي صابيح، (1381هـ-1962م)).

-زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، (مصر: محمد علي صابيح، (1353هـ-1934م)).

-الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ط3، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمـة، (1418هـ ،1998م)).

-الضوء المنير على التفسير، دط، (الرياض: مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، دت).

-الفوائد، دط، (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، دت)

-مفتاح دار السعادة، دط، (دب: دار الكتب العلمية، دت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ك-

98. كاريل (ألكسيس)

-الإنسان ذلك المجهول، تحقيق: شفيق أسعد فريد، ط1، (بيروت: مكتبة المعارف، دت)

99. ابن كثير (عماد الدين أبو الفدى) ت: 774هـ

-البداية والنهاية، دط، (دب: دار الفكر العربي، دت)

-تفسير القرآن الكريم، د.ط، (د.ب: د.د، (1367هـ-1947م)).

-السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دط، (دب: دار الفكر، دت)

100. الكفوي (أبو البقاء)

-الكليات، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (1413هـ-1993م)).

-م-

101. ابن ماجة

-السنن، دط، (دب: دار الفكر، دت)

102. الماوردي

-تفسير الماوردي "النكت والعيون"، تحقيق: خضر محمد خضر، دط، (الكويت: مطابع مقهوي، (1406هـ-1986م)).

103. المبارك (محمد)

-نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، دط، (دب: دار الفكر، 1980م)

104. مجموعة من العلماء

-الله يتجلى في عصر العلم، ط4، (القاهرة: الجمعية المصرية، 1986م).

105. المدني (هاشم محمد سعيد)

-معجزات قلب القرآن، ط4، (جدة: مكة، دار الشروق، 1988م)

106. المراغي (أحمد مصطفى)

-تفسير المراغي، ط1، (مصر: مكتبة مصطفى الحلبي، (1361هـ-1961م)).

107. مرعي (هدى عبد الكريم)

-الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، دط، (عمان: الأردن، دد، (1411هـ-1991م)).

108. مسلم

-صحيح مسلم، دط، (بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، دت).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

109. ابن منظور

-لسان العرب، دط، (دب: دار المعارف، دت).

-ن-

110. النجار (عبد المجيد)

-الإيمان وأثره في الحياة، ط1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، دت)

-قيمة الإنسان، ط1، (الرباط: دار الزيتونة، (1417هـ-1996م)).

-منهجية البحث في الفكر الإسلامي، ط1، (بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992م)

111. النجار (عبد الوهاب)

-قصص الأنبياء، ط3، (بيروت: لبنان، إحياء التراث العربي، دت).

112. أبو نواس (محمد عبد القادر)

-تزكية النفس، دط، (عمان: الأردن، دار الفرقان، 1421هـ)

-هـ-

113. ابن هشام

-السيرة النبوية، دط، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، دت)

114. هيمي (زكريا)

-الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط2، (دب: مكتبة مدبولي، دت)

-و-

115. عبد الواحد (مصطفى)

-الإيمان في القرآن الكريم، ط1، (دب: دار الصحوة للنشر، (1407هـ-1987م)).

116. الواحدي (علي بن أحمد النيسابوري)

-أسباب النزول، ط2، (لبنان: دار الكتب العلمية، (1411هـ-1997م).

-ي-

117. يحي (هارون)

-المعجزات القرآنية، ط2، (دب: مؤسسة الرسالة، (1424هـ-2003م)).

-الكتب باللغة الأجنبية:

1. Galli Mard Jeunesse, Dictionnaire visuel pour tous, (découvert 1995).
2. Quillet Nouvel, Auto didactique, 1997, Vol7.

المجلات والدوريات:

1. إبراهيم (ماجد عبد السلام)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ظاهرة الإلحاد، حولية كلية الدعوة الإسلامية، (القاهرة: ع16، (1422هـ-2002م)).

2. حسن (حسن عبد الغني)

-القلق النفسي أسبابه وعلاجه في هدي الإسلام، جامعة الأزهر، حولية كلية الدعوة الإسلامية، (القاهرة: ع15، (1422هـ-2001م)).

3. رضوان (عبد العزيز أحمد)

-من مظاهر العظمة في قدرة الله، مجلة الأزهر، (القاهرة: س73، (1421هـ-2000م)).

4. الفقيهي (علي بن محمد بن ناصر)

-مسالك القرآن في الاستدلال على وجود الله، مجلة الجامعة الإسلامية، (ع53، س14، (1408هـ-1985م)).

5. النجار (زغلول راغب)

-نظرة الإسلام في الكون والحياة، مجلة ثقافية (السعودية: مطابع التريكي، (1421هـ-2001م)).

مواقع الإنترنت:

-هارون يحي: خلق الإنسان، موسوعة الإعجاز العلمي: WWW. 557 net

-علاقة الإنسان بالكون: WWW. Islamic mésecine. Org

-WWW. Amiralmominin

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة ....

الفصل التمهيدي: مفاهيم ومصطلحات

المبحث الأول: مفهوم العقيدة 2

المطلب الأول: المعنى اللغوي 2

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي 3

المبحث الثاني: مفهوم الأصول 4

المطلب الأول: المعنى اللغوي 4

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي 4

المبحث الثالث: التعريف بسورة يس 6

المطلب الأول: في السورة: ترتيبها، عدد آياتها، مكان وزمان نزولها، أسماؤها 6

أولا: ترتيب السورة وعدد آياتها 6

ثانيا: مكان وزمان نزول السورة وأسماؤها 7

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة وعلاقتها بالسورة التي قبلها وبعدها 8

أولا: أسباب نزول السورة 8

ثانيا: علاقتها بالسورة التي قبلها وبعدها 10

المطلب الثالث: موضوعات السورة وفضائلها 12

أولا: موضوعات السورة 12

ثانيا: فضائلها 15

الفصل الأول: الإيمان بالله

تمهيد 18

المبحث الأول: الآلهة في منظور السورة 19

المطلب الأول: الأصنام والأوثان 19

المطلب الثاني: عبادة الشيطان 22

المبحث الثاني: دلائل وجود الله ووحدانيته 24

المطلب الأول: دلائل الفطرة 24

أولا: الدلالة النفسية 24

ثانيا: الدلالة التاريخية والاجتماعية 28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: دلائل الآفاق 30
أولا: دلالة الشمس والقمر 30
ثانيا: دلالة الليل والنهار 34
ثالثا: دلالة السماوات والأرض 36
المطلب الثالث: دلائل الأنفس 39
أولا: دلالة خلق الإنسان 39
ثانيا: دلالة التسخير 43
ثالثا: دلالة الأزواج 46
المبحث الثالث: أثر الإيمان بالله في الفرد والمجتمع 49
المطلب الأول: الطمأنينة والأمن 49
المطلب الثاني: العزة والكرامة 51
المطلب الثالث: الصدق والأمانة 53
المطلب الرابع: تحقيق الاستقامة 55
المطلب الخامس: تحرر الفكر والجماعة 56

الفصل الثاني: الإيمان بالرسل والرسالة

تمهيد 60
المبحث الأول: الرسل: صفاتهم ووظائفهم 61
المطلب الأول: حاجة الناس إلى الرسالة 61
أولا: خروج الأمم والشعوب في مختلف العصور عن فطرة الإسلام 61
ثانيا: معرفة الحقائق المتعلقة بعالم الآخرة 65
المطلب الثاني: صفات الرسل عليهم السلام 69
أولا: الصفات الخُلقية 69
ثانيا: الصفات الخَلقية 71
المطلب الثالث: وظائف الرسل 73
أولا: الدعوة إلى عبادة الله 73
ثانيا: إرشاد الناس وهدايتهم 74
ثالثا: التذكير بالنشأة والمصير 75

المبحث الثاني: الرسالة: الاعتراضات والرد عليها 77
المطلب الأول: الاعتراض على بشرية الرسل 77
أولا: الشبهة 77
ثانيا: الرد عليها 78
المطلب الثاني: إنكار الوحي 80
أولا: الشبهة 80
ثانيا: الرد عليها 81
المطلب الثالث: إنكار الرسالة 83
أولا: الشبهة 83
ثانيا: الرد عليها 84
المطلب الرابع: اتهامه بالشعر 88
أولا: الشبهة 88
ثانيا: الرد عليها 89
ثالثا: الحكمة من تنزيهه عن الشعر 91
المبحث الثالث: أثر الإيمان بالرسالة في الفرد والمجتمع 93
المطلب الأول: الصبر 93
المطلب الثاني: الشجاعة 94
المطلب الرابع: الثبات 96

الفصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر

تمهيد 99
المبحث الأول: اليوم الآخر: حاجة الناس إليه، وأطواره 100
المطلب الأول: حاجة الناس إلى اليوم الآخر 100
أولا: الحاجة الفطرية النفسية 100
ثانيا: العدالة الإلهية 100
المطلب الثاني: أطواره 101
أولا: النفخ في الصور 101
ثانيا: البعث 104
ثالثا: الحساب 105

رابعا: الصراط 107

خامسا: الجنة والنار 109

المبحث الثاني: دلائل البعث 114

المطلب الأول: منكرو البعث 114

المطلب الثاني: دلالات السورة على البعث 117

أولا: دلالة خلق الإنسان 117

ثانيا: دلالة السماوات والأرض 119

ثالثا: دلالة إخراج الأشياء من أضدادها 121

رابعا: دلالة نظام الزوجية 123

خامسا: نتائج علمية أخرى 124

المبحث الثالث: أثر الإيمان باليوم الآخر في الفرد والمجتمع 126

المطلب الأول: الطمأنينة النفسية 126

المطلب الثاني: ضبط سلوك المؤمن 128

المطلب الثالث: الفاعلية والإخلاص 129

الخاتمة 132

فهرس الآيات 134

فهرس الأحاديث 141

فهرس المصادر والمراجع 143

فهرس الموضوعات 155

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية